تطور الوضع السياسي والعسكري في عهد الدايات العاديين بالجزائر (1671م – 1711م)

The Development of the Military and Political situation during the Ordinary Dayets Era in Algeria (1671 – 1711)

د. عبد الكريم شوقي*

جامعة الجزائر 2 "أبو القاسم سعد الله"

krimchougui@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/21 تاريخ القبول 2023/04/14 تاريخ النشر 2023/05/14

الملخص : عرفت الجزائر مع نهاية عهد الآغاوات في أواخر العقد السابع، ومطلع العقد الثامن من القرن السابع عشر، قيام نظام حكم الدايات عام 1671م، الذي استمر بها إلى غاية 05 جويلية عام 1830م، تاريخ سقوط مدينة الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي. ويمكن تقسيم مدة ذلك النظام بدورها إلى ثلاثة مراحل بارزة، والتي منها مرحلة أو عهد الدايات العاديين، أي الدايات الذي حملوا لقب الداي فقط، وعرف عهدهم استمرار إرسال باشوات ممثلين للسلطان العثماني إلى الجزائر، وهي الفترة الممتدة من عام 1671م إلى غاية رفض نزول أخر باشا عين من طرف السلطان العثماني على الجزائر عام 1711م. ولمحاولة الوقوف عند حقيقة تطور الوضع السياسي والعسكري في تلك الفترة ، سوف يتم التعرض لمختلف جوانبه، وأهم أحداثه وعملياته، من خلال هذا المقال، في محاولة للإحاطة قدر الإمكان بالموضوع، عن طريق استعراض أهم التطورات التي عرفها، وكذا مختلف الصفحات التي طواها

*الكلمات المفتاحية: **الجزائر ؛ الداي ؛ الباي ؛ هران ؛ الانكشارية ؛ الرياس.***

Abstract : Algeria knew with the end of the era of the Aghas in the late seventies and early eighteenth century, the establishment of The Days regime in 1671, which lasted until July 5, 1830, the date of the fall of the city of Algiers under French occupation. The duration of that system, in turn, can be divided into three prominent phases, including the phase or

* المؤلف المراسل

era of the ordinary The Days, i.e. The Days who carried the title of day only, and their era knew the continuation of sending pashas representatives of the Ottoman Sultan to Algeria, which is the period extending from 1671, until Rejection of the landing of the last Pasha appointed by the Ottoman Sultan on Algeria in 1711. And to try to stand at the reality of the development of the political and military situation in that period, it will be exposed through this article to its various aspects, its most important events and operations, in an attempt to be as brief as possible on the subject, by reviewing the most important developments witnessed, as well as the various stages passed.
key words: ; The Day ; The Bay ; Oran ; Janissary ; Rias

مقدمة:

عرفت الجزائر مع نهاية عهد الآغاوات في أواخر العقد السابع، ومطلع العقد الثامن من القرن السابع عشر، ظروفًا سياسية وأمنية عصيبة، تمثلت في قيام عدة اضطرابات داخلية، بشرق البلاد وغربها، عجز الحكومة المركزية في القضاء عليها، مما أنهك قوى البلاد وأثر على استقرارها، وعجل بسقوط نظام حكم الآغاوات الذي كان قائما بها منذ عام 1659م، والذي لم يعمر سوى اثنى عشر عاما. وفي المقابل ساعدت تلك الظروف على قيام نظام حكم الدايات في الجزائر عام 1671م، الذي استمر بها إلى غاية 05 جويلية عام 1830م، تاريخ سقوط مدينة الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي.

لقد دام ذلك النظام بالجزائر لمدة قاربت الـ 159 سنة، عرفت فيها البلاد عدة أحداث وتغيرات، كان لها الأثر البالغ في تطور الأوضاع وتسارعها، كما عرف العالم الذي يحيط بها أيضا جملة من التطورات التي كان للجزائر دورا فيها. لذلك يمكن تقسيم مدة ذلك النظام بدورها إلى ثلاثة مراحل بارزة، والتي منها مرحلة أو عهد الدايات العاديين، أي الدايات الذي حملوا لقب الداي فقط، وعرف عهدهم استمرار إرسال باشوات ممثلين للسلطان العثماني إلى الجزائر، وهي الفترة الممتدة من عام 1671م تاريخ قيام ذلك النظام إلى غاية رفض نزول أخر باشا عين من طرف السلطان العثماني على الجزائر عام 1711م.

إن استمرار التغيير الجوهري الذي حدث في أعلى السلطة بالجزائر، وما صاحبه من زيادة في اختلال طرق التعامل، وكذا العلاقات التي تجمع بين حكام الجزائر وسلاطين الدولة العثمانية، سواء من حيث تنفيذ القرارات، أو التسيير، أو الالتزام والتقيد بتنفيذ مختلف الاتفاقيات والمعاهدات الدولية في تلك

المرحلة. سوف يتم التعرض لمختلف جوانبه، وأهم أحداثه وعملياته، من خلال هذا المقال، في محاولة للإحاطة قدر الإمكان بالموضوع، عن طريق استعراض أهم التطورات التي عرفها، وكذا مختلف الصفحات التي طواها، وذلك وفق مقاربة وصفية تحليلية، يتم من خلالها التمعن في كل الجوانب والأبعاد المرتبطة بالموضوع أو بما يحيط به.

وعموما يمكن حصر الإشكالية الرئيسية لموضوع الدراسة في كيفية تطور الوضع السياسي والعسكري بالجزائر في عهد الدايات العاديين منذ عام 1671م إلى غاية نهاية وجود الباشوات ممثلي السلطان العثماني بالجزائر برفض نزول أخرهم بميناء الجزائر عام 1711م، مع الوقوف عند اسباب وحيثيات تلك التطورات. وذلك باستعمال المنهج الوصفي لاستعراض الأحداث التاريخية وتسلسلها، ثم المنهج التحليلي الدقيق وهو الأهم في الموضوع، قصد محاولة استجلاء حقائق الموضوع، والوقوف عند الاسباب الحقيقية أو الاقرب إلى الحقيقة من أجل تفسير بعض الاحداث التي ميزت المرحلة.

1 – الظروف العامة لبداية عهد الدايات العاديين:

جاءت ظروف سقوط نظام الآغاوات، إثر تعرض مدينة الجزائر في صيف 1671م إلى حملة عسكرية انجليزية ألحقت بها وبميناءها أضرارًا هامة[1]. مما أشعل ثورة على الآغا علي[2]، الذي كان في الحكم على رأس الحكومة الجزائرية منذ عام 1664م، غير أنه في السنتين الأخيرتين من حكمه عرف تضمر الغالبية من سياسته خاصة اتجاه فرنسا، التي لاينها كثيرا سواء على حساب الرياس أو الانكشارية، مما عرضه في خريف 1671م إلى محاولتي اغتيال من طرف الانكشارية، الأولى كانت فاشلة وجرت في 24 سبتمبر، حيث خرج منها سالما وانتقم من منفذيها، أما الثانية فكانت ناجحة وتمكن منفذوها من قتله في 18 أكتوبر وصادروا أمواله، وتعقبوا اتباعه حيث قتلوا كل من ضفروا به، وعمت الفوضى[3].

عمل الديوان اثرها إلى محاولة انتخاب خليفة له، فتم ترشيح خمسة أو ستة آغاوات في ظرف ثلاثة أيام، الا انهم قتلوا جميعا بعد تعيينهم نتيجة الفوضى والتهافت على السلطة وتولي الحكم، غير أن المصير المأساوي الذي لحق بالاغاوات الذين تم انتخابهم كان عبرة للبقية، مما جعلهم يحجمون عن الترشح وامتنعوا عن المغامرة بأرواحهم، فاغتنم إسماعيل باشا[4] ممثل السلطان العثماني بالجزائر الفرصة من أجل حصد تأييد الانكشارية لتولي مقاليد الحكم، غير أنه فشل بسبب تحرك الرياس واقتراحهم ترشيح الرايس الحاج محمد التريكي أو الطريقي[5] لحكم البلاد، فلاقى القبول لدى الجميع، واطلق سراحه بعد أن كان علي آغا قد سجنه وانتخب دايا[6] للجزائر، وذلك ما أدى إلى قيام نظام

الدايات[7]، فتولى الحكم وعين صهره حسن شاوش كاهية لمساعدته وذلك لكبر سنه، وهكذا انتهى عهد الآغاوات وبدأ عهد الدايات في الجزائر[8].

ولقد بدأت تلك المرحلة من تاريخ الجزائر، في ضل تطورات وأحداث هامة ومؤثرة، بحيث كان لها الأثر البارز في تطور المسار التاريخي للجزائر خاصة، وللمنطقة وكل حوض البحر المتوسط، وحتى السواحل الأوربية المطلة على المحيط الأطلسي وجزرها عامة، والتي نتج عنها عدة ظواهر ونتائج وانعكاسات، يمكن حصر بعضها فيما يلي:

– تخلص حكام الجزائر من الهيمنة المركزية العثمانية، بشل نشاط وصلاحيات الباشا الجديد إسماعيل باشا القادم من اسطنبول عام 1662م ممثلاً للسلطان، بعد انقطاع دام ثلاث سنوات وذلك إثر استرضاء هذا الأخير وموافقته على استئناف ارساله لممثلين عنه إلى الجزائر، عقب غضبه على الأغاوات، الذين قاموا عام 1659م بإلقاء القبض على علي باشا الذي عينه في نفس العام لحكم الجزائر، ووضعه في سفينة وطردوه إلى مدينة إزمير، وذلك لعجزه عن الامساك بزمام الأمور في البلاد وانفلاتها من يده، وكان ذلك نتيجة تراكمات سياسة نظام الباشوات التي دامت لحوالي 72 سنة، وسلوكات أغلبيتهم الظالمة[9]، وبذلك وضع الحد النهائي لسيطرة الباشوات على مقاليد الحكم بالجزائر، بعد اسنادها في شهر جويلية عام 1659م إلى أحد أبرز أعضاء الديوان وأكثرهم نفوذا وتحريكا للانقلاب الذي حدث على الباشوات، والمدعو خليل بلكباشي[10]، والذي حمل لقب الآغا للدلالة على منصبه الرفيع، وبذلك بدأ عهد الاغاوات، وذلك تمهيدا للإقدام على خطوات أخرى أكثر جرأة في عهد الدايات، تمثلت في عدم قبوله أصلا.

– عدم الاستقرار في هرم السلطة بالبلاد وتآمر الحكام أنفسهم بعضهم ضد بعض، حيث عرف جل حكام فترة الاغاوات نفس المصير، والمتمثل في القتل بطريقة بشعة، والأمر راجع لا ريب إما لكثرة تلك المؤامرات وعدم التمكن من الإلمام بأخبارها جميعا، أو لحدوثها بشكل عفوي سريع دون التخطيط الطويل والكبير الذي يتطلب تدخل الكثير من الأشخاص، مما يمكن من تسريب المعلومات التي يترصدها العيون والجواسيس، أو ربما أيضا لانشغالهم بالتطورات الخارجية أو الداخلية المحلية، أو لعدم تحكمهم في من كان سببا في وصولهم إلى الحكم، وذلك لكون الآغاوات كانوا ينتخبون من طرف الديوان، الذي سرعان ما يقرر بعض أعضائه التخلص من الأغا حالما يصبح وجوده يتعارض مع مصالحهم.

– تدهور العلاقات بين الجزائر وفرنسا في تلك الفترة، وميلها نحو تنامي أوجه الصراع بين الدولتين، لاسيما بعد قيام فرنسا بحملتها على مدينة جيجل عام 1664م، وما ترتب عنها من رد فعل جزائري موفق، جعل الامور تختلط على فرنسا وملكها.

– بروز الدور الجد ايجابي للقوى المحلية في الدفاع عن البلاد، وقد تجلى ذلك بوضوح في التصدي للحملة الفرنسية على جيجل، واعتمادها على خطة محكمة استطاعت شل الدفاعات الفرنسية، وحاصرتها ومنعتها من التوغل في الداخل، إلى حين وصول التعزيزات الحكومية من الجزائر، حيث ساهمت معها في إلحاق الهزيمة بالحملة الفرنسية في وقت قياسي، وكان رد فعل تلك القوى المحلية الجزائري ذاتي لم تستطع الاستخبارات الفرنسية إدراكه، لجهلها بعقلية وشخصية الجزائري، حيث استهانت ببعض المعطيات المحلية، وعلقت آمالا واهية على الصراع الذي كان قائم في البلاد بين السلطة المركزية وتلك القوى المحلية، فكانت النتيجة هزيمة كبيرة، وخسائر ضخمة، وسمعة ملطخة، ومخططات فاشلة، ومجد ضائع لملك حالم.

– تأرجح العلاقات الجزائرية الانجليزية في تلك الفترة بين التعاون والعداء، وذلك حسب المصلحة والظروف، حيث سجل خلال الحرب الانجليزية الهولندية (1665م-1667م)، انضمام رياس الجزائر إلى جانب الانجليز في مهاجمة السفن الهولندية والفرنسية، غير أنه في عام 1668م ازدادت الهجمات الانجليزية على السفن الجزائرية، مما اضطر علي أغا تحت ضغط الديوان والرياس الترخيص من جديد بمطاردة السفن الانجليزية، ودخل الصراع بين الجزائر وإنجلترا صفحة جديدة من فصوله المأساوية، إذ سجلت عدة خسائر لدى الطرفين، سواءً جراء المعارك البحرية، أو القصف المباشر والحصار للموانئ الجزائرية مثل ما حدث لميناء الجزائر في شهر سبتمبر عام 1669م، وفي شهر جويلية عام 1671م، وميناء بجاية في شهر ماي عام 1671م[11].

وكذلك هو الحال مع هولندا التي كثيرا ما كانت العلاقة معها علاقة صدام وحرب بسبب محاولتها التنصل من التزاماتها، وتحقيق امتيازات جديدة لدى الحكومة الجزائرية، بعد استغلال بعض الظروف المتردية التي تحل بالجزائر نتيجة كوارث طبيعية، أو عقب تعرضها لبعض الغارات البحرية الاوروبية. أو بالتحالف مع دول أوروبية أخرى والقيام بحملات مشتركة على الجزائر، مثل ما حدث مع الانجليز عام 1670م، وذلك بعد تضرر تجارتهم وملاحتهم من هجمات الجزائريين، إثر نقضهم للمعاهدات والاتفاقيات التي كانت تجمعهم بالجزائر، مما جعل الاستخبارات والدبلوماسية الهولندية تتصل بالإنجليز، وتعرض عليهم فكرة التحالف والعمل المشترك ضد الاسطول الجزائري، وهذا ما تم بالفعل،

رغم العداء والحرب التي قامت بين الدولتين من عام 1665م إلى غاية عام 1667م، فتجاوزوها وشكلوا أسطولا مشتركا في صيف نفس العام، وتحركوا به نحو مضيق جبل طارق، أين تمكنوا من تدمير سبع سفن جزائرية[12].

– استمرار علاقة العداء مع الاسبان بحكم تواصل احتلالهم لمدينة وهران والمرسى الكبير، مع تتبع تحركاتهم سواء في وهران والمرسى الكبير، أو حتى في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وحتى في الارضي الاسبانية نفسها. كما عرفت تلك الفترة تجدد المحاولات الجزائرية لكسر شوكة الاسبان في المنطقة الوهرانية، بحيث اغتنم حكام الجزائر نشوة الانتصار المحقق في جيجل، ووجهوا إلى وهران جيشا صغيرا عام 1665م، لكنه سرعان ما رفع الحصار عنها وتراجع بسبب قلة عدده وعدته[13].

كما عرف عام 1669م شن حملة جديدة من طرف الجيش الجزائري على الاسبان في مدينة وهران، بعد وصول أخبار ومعلومات للجزائر عن تزايد الاعتداءات الاسبانية على القبائل المعارضة لتواجدهم في المدينة، غير أنه وبعد الشروع في القيام بعدة محاولات غير مجدية للهجوم على أسوار المدينة المحاصرة، رفع الجيش الجزائري لمعسكره على عجل، وذلك على الاغلب بسبب اتصاله بمعلومات استخباراتية، تفيد بخطورة الوضع المترتب عن قيام ثورة تلمسان الكبرى، وذلك بتواطؤ وإيعاز من سلطان المغرب آنذاك، لذلك اكتفت حكومة الجزائر خلال العامين المواليين لتلك الحملة بإرسال مفارز من الجند للإغارة على أطراف وهران، قصد الابقاء على الضغط ضد الاسبان في المنطقة[14].

– تواصل علاقة الحذر مع كل من الدولة العثمانية وتونس، نتيجة تأرجح العلاقات وبروز بعض الازمات فيها، غير أنه سجل في تلك الفترة تعاون جزائري عثماني لاسيما في الميدان العسكري، قد تواصل خاصة عامي 1667م و1669م، حيث شارك الاسطول الجزائري بكل فعالية واقتدار في فتح جزيرة كريت، وذلك رغم ما لحق به من خسائر عام 1669م أثناء نقله للذخائر والامدادات، وذلك أمام أسطول البندقية وحلفائها الذين هبوا لنجدة جزيرة كريت قبل سقوطها، لذلك استمر انتقام الرياس منهم إلى غاية عام 1672م بعد إلحاح السلطان في طلب توقيف تلك الهجومات من الحكومة الجزائرية[15].

اما مع المغرب الأقصى فكانت العلاقات معه جد حساسة، خاصة بعد وصول العلويين إلى الحكم به بعد قضاهم النهائي على ما بقي من الحكم السعدي، والقوى المناوئة لهم، وشروع سلطانه الجديد الرشيد[16]، الذي تولى حكم الدولة في ظروف صعبة بعد قضائه على أخيه السلطان محمد[17] عام

1664م، على توحيد البلاد بضرب الدلائيين في الشمال عام 1668م، حيث هزمهم ثم عمل بعد ذلك على محاولة استخدامهم لتحقيق مشروع أخيه محمد، التوسعي في غرب الجزائر، وذلك بنفيهم مؤقتا إلى تلمسان[18]، قصد استغلالهم في اثارة سكانها وتحريضهم على الثورة ضد حكام الجزائر، الامر الذي تم بالفعل بعد عدة أشهر من ذلك، إذ تفجرت ثورة خطيرة بالمدينة وأحوازها دامت لعدة سنوات، وامتد نطاقها إلى العديد من المناطق الحدودية[19]، والتي أثرت على حملة الجزائريين على وهران عام 1669م، بعد اتصالها بمعلومات إستخباراتية خطيرة عن تلك المؤامرة، وسعيهم إلى اساءة الجوار مع الجزائر من خلال التحرش بالمناطق الحدودية لها، وانتهاكاتهم المقصودة للحدود، في سلوك عدواني ينم عن اطماعهم التوسعية.

– حدوث عدة ازمات سياسية داخلية، وحلول عدة كوارث طبيعية عليها، وانتشار عدة مجاعات وأوبئة بها، كانت عواقبها وخيمة على الجزائر التي كانت تعيش مرحلة جد حساسة في مسيرتها التاريخية، وذلك مع تنامي القوى الأوروبية المنافسة، والتي كثيرا ما كانت تستغل ذلك في تحرشاتها على الجزائر.

– ظهور معطيات محلية ودولية جديدة، كان لها الاثر البالغ على الجزائر ومكانتها الدولية، هذا إلى جانب تنامي القوى الأوروبية، وبروز زعامات جديدة فيها، دخلت في مجال النشاط البحري، فاحتدم الصراع والتنافس معها، لاسيما بعد ظهور بوادر لتوافق وتكتل أوروبي بين تلك القوى ضد الجزائر وأسطولها، الذي عرف في تلك الاثناء بداية مرحلة تراجعه، في الوقت الذي كانت الأساطيل الأوروبية تسجل تطورا ملحوظا، وذلك مواكبة للتقدم والاختراعات التي بدأت تعرفها تلك البلدان مع انطلاق نهضتها، والخطوات الأولى للثورة الصناعية، التي كان مهدها أوروبا الغربية، مما ولد نوعا من الاختلال في موازين القوى مع الأسطول الجزائري.

– تمكن حكام الجزائر رغم كل تلك الظروف وخاصة في عهد الدايات تحقيق الاستقلال التام للبلاد تقريبا، عن الدولة العثمانية، بحيث أصبح دور السلطان العثماني بالنسبة للجزائر يقتصر على إصدار التزكيات (الفرمانات) لتنصيب الدايات الذين يختارهم الديوان، وكذا تعيين الباشوات المرافقين لهم، وبالرغم من الوجود الشرفي لأولئك الباشوات، كما سوف يأتي الحديث عنه، إلا انهم كانوا يشكلون عقبة تعيق نفوذ الدايات، بحكم ثنائية الحكم الذي كان يظهر ولو شكليا، مما جعل الدايات يشرعون في التخطيط للقضاء عليه، ووصل بهم الأمر إلى أنهم منعوا بعض الباشوات من النزول على البر الجزائري، مثل ما حدث لإسماعيل باشا عندما أعيد تعيينه بالجزائر سنة 1686م أثناء ولاية الداي

حسين ميزومورتو[20]، أما الداي علي شاوش[21] فقد أقدم بشكل قطعي عام 1711م رفض السماح للباشا الجديد شرقان إبراهيم المعين من طرف السلطان بالدخول إلى الجزائر والنزول بمينائها، وطلب من الباب العالي تعيينه هو نفسه باشا، فوافق السلطان على الأمر، وبذلك تم الجمع بين المنصبين (الداي والباشا) لدى حكام الجزائر، وانتهى بذلك عهد الدايات العاديين، وبدأ عهد الدايات الباشوات الذي استمر إلى غاية 1830م.[22]

2 – أهم الدايات الذين حكموا الجزائر في ذلك العهد وانجازاتهم:

إثر تعرض مدينة الجزائر في صيف 1671م إلى حملة عسكرية انجليزية ألحقت بها وبمينائها أضرارًا هامة كما سبق الإشارة إليه، اشتعلت ثورة عارمة ضد علي آغا، الذي كان في الحكم على رأس الحكومة الجزائرية منذ عام 1664م، انتهت بقتله في 18 أكتوبر عام 1671م، وعمت الفوضى فعمل الديوان اثرها إلى محاولة انتخاب خليفة له، ففشل بسبب قتل جميع من تم ترشيحهم، ورغم محاولة إسماعيل باشا ممثل السلطان العثماني بالجزائر حصد تأييد الانكشارية لتولي مقاليد الحكم، إلا أنه فشل بسبب تحرك الرياس واقتراحهم ترشيح الرايس الحاج محمد التريكي أو الطريقي لحكم البلاد، فلاقى القبول لدى الجميع، واطلق سراحه بعد أن كان علي آغا قد سجنه وانتخب دايا للجزائر، أو الحاكم أو الدولاتلي[23]، وذلك ما أدى إلى قيام عهد الدايات العاديين الذي استمر لحوالي 40 سنة، وتعاقب على قيادة البلاد فيها 10 دايات اختير الأربعة الأوائل منهم من فئة رياس البحر، ثم تحول الى الوزراء أو رجال الدولة من أمثال الخزناجي وخوجة الخيل وأغا العرب[24]، وعموما تميزت فترة كل واحد منهم بما يلي:

– عهد الداي الحاج محمد التريكي أو الطريقي (1671م – 1682م):

تولى قيادة البلاد في ظروف جد حساسة، وكان شخصية محترمة موقرة يحظى بتقدير الجميع، عمل على إعادة الهدوء والاستقرار إلى البلاد، ولم يكن يستأثر لنفسه بالحكم بل عين صهره زوج ابنته حسن شاوش كاهية، الذي عرف فيما بعد باسم بابا حسن لمساعدته وذلك لكبر سنه، فعمل هذا الأخير على ادخال التعديلات التي أصبح بفضلها الوزراء أو رجال السياسة يلعبون دورا كبيرا في تسيير شؤون الدولة، بدل استئثار الديوان الانكشارية بذلك من قبل، وهو الامر الذي أكسب السلطة الحيوية، التي مكنتها من تجاوز الركود الذي عرفه عهد الباشوات، والانسداد الذي بلغه عهد الاغاوات نتيجة سيطرة ديوان الانكشارية المذكور[25].

ولقد تميز عهده بتطور التوتر مع فرنسا التي حجزت عدد من الرعايا الجزائريين بعد تمكنهم من الفرار والتحرر من الرق، الذي فرض عليهم في دول ومدن أوروبية، وذلك رغم الاتفاقيات والمعاهدات التي تربط الجزائر بها[26]، وتضمنت رسالة الداي الحاج محمد الطريقي المقدمة لفرنسا، الممثلة في قنصلها بالجزائر آنذاك رجل الدين المعروف بالأب جان لوفاشي Jean le Vacher، في 23 سبتمبر 1674م، الاشارة إلى سكوت فرنسا على بحارتها الذين يعملون في الاساطيل الاوروبية المعادية للجزائر، ومشاركتهم في الاعتداء عليها، كما تطرقت إلى احتجاز فرنسا للرعايا الجزائريين، الذين سبقت الاشارة إليهم[27]. ثم شرعت الجزائر في تنفيذ تهديداتها باتجاه فرنسا، عن طريق احتجاز الفرنسيين الذين قبض عليهم في سفن الاعداء المستولى عليها، وفي ذلك الاطار قام الريس ميزو مورتو باحتجاز ثلاثة وعشرين فرنسيا، قبض عليهم على متن سفينتين تم الاستيلاء عليهما الاولى لجنوة، والثانية لليفورن[28].

كما أقدمت الجزائر على قطع علاقاتها بفرنسا عام 1679م، لعدم التزام هذه الاخيرة بقواعد الاتفاق والمعاهدة التي كانت تربط البلدين، وذلك بعد احتجاز سفينة مرسيلية لعدد من الجزائريين الذين أفلتوا من قبضة الأسر الاسباني، واستعملوا في التجديف بالسفن الفرنسية دون أدنى اعتبار للطرف الجزائري، وظلت المسألة عالقة بين البلدين لمدة ثلاث سنوات، أي من عام 1679م إلى غاية 1681م، حيث تطور الخلاف إلى إعلان الحرب من طرف الجزائر على فرنسا في 18 أكتوبر عام 1681م، وذلك نتيجة تعنت هذه الاخيرة وإسرارها على احتجاز الجزائريين، والإخلال ببنود المعاهدة التي كانت تجمع بين البلدين[29].

ولقد كان القنصل الفرنسي آنذاك الاب جان لوفاشي يزود بلاده بكل الاتصالات والمفاوضات التي تتم مع مختلف الدول، والتي كان منها التي جرت مع الهولنديين، قبل عقد معاهدة معهم في مطلع شهر ماي عام 1680م، والتي نصت على تعهد هولندا فيها بتزويد الجزائر بكميات معتبرة من العتاد الحربي، الامر الذي أدى إلى احتجاج فرنسا رسميا على تزويد الجزائر بمثل ذلك العتاد، عن طريق سفيرها في لاهاي بهولندا[30]، وكذلك هو الحال بالنسبة للمعاهدة التي عقدت مع انجلترا بتاريخ 22 أفريل 1682م، والتي التزمت فيها هي الاخرى بتزويد الجزائر بكميات معتبرة من العتاد الحربي الانجليزي[31].

وقد علق الجواسيس الفرنسيون بالجزائر، في مراسلاتهم التي وجهوها سرا بهذا الخصوص إلى بلادهم، أن هذه المعاهدات كانت مخزية سواءً بالنسبة للهولنديين أو الانجليز فيما بعد، كون هاتين الامتين لا

تنظران سوى للفائدة التي تحصل عليها تجارتهما، فهما تتجاهلان الشرف وتعتبرانه شيئا لا يخدم مصالح رعاياهما[32].

ونتيجة لتلك الاجواء المشحونة بين الدولة الجزائرية، ومملكة فرنسا في مطلع العقد التاسع من القرن السابع عشر، فقد كلف الملك لويس الرابع عشر القائد دوكين بشن حملة عسكرية على الجزائر، التي استولى رياسها في ظرف شهر على حوالي 29 سفينة فرنسية و300 أسير فرنسي[33]، وهي إهانة في حق ملكها ومساس بكرامته ومكانته الدولية، وهو الذي ولا تجرؤ معظم الدول الاوروبية على معارضته أو مواجهته[34].

كما تعرض الجزائر في عهد الداي الحاج محمد التريكي لحملات عدائية من الأسطول الانجليزي، وذلك بقصد إرغامها على قبول المطالب الإنجليزية، ومن تلك الحملات حملة صيف 1671م على مدينة الجزائر، والتي أدت إلى قتل علي أغا ونهاية عهد الاغاوات، والتي تلاها إبرام اتفاق سلام مع الانجليز في نهاية عام 1671م، في عهد الحاج محمد التريكي أول دايات الجزائر[35]، وحملة 1678م على مدينة الجزائر أيضا بقيادة اللورد مالبوروغ Malborough، الذي قصفها بعدة قذائف ثم انسحب دون أن يلحق بها أضرارا كبيرة[36]، تلاها اتفاق جديد مع الانجليز في 1681م[37]. هذا وتوصلت هولندا من جهتها إلى اتفاق سلام مع الجزائر في 1679م، بعد أن منيت بخسائر كبيرة على يد البحرية الجزائرية[38].

أما اسبانيا فقد استمرت حالة الحرب معها لاحتلالها مدينة وهران والمرسى الكبير، وقد شهد عهد الداي الحاج محمد التريكي إقدام الاسبان انطلاقا من وهران على شن عدة حملات على المناطق المجاورة لها تصدى لها الجزائريون، وردوا عليها بحملات مضادة أجربتهم على الانحصار في وهران والمرسى الكبير. ففي عام 1675م شن الاسبان حملة مباغتة على تلمسان، ثم اضطروا إلى التقهقر، وقام الجزائريون بحملة مضادة عليهم، وحاصروهم في وهران لمدة نحو ثلاث سنوات، ولم يرفع إلا بعد أن تفشى وباء الطاعون في جيشهم[39].

وفي عام 1678م قامت حامية وهران بغارة في سهل مليته وقتلت الكثيرين وأسرت نحو ثمانمائة من الأهالي، فعاد الجزائريون لحصار وهران من جهة البحر في جوان 1678م، ولم يفكوا الحصار عليها إلا بعد أن استهدفت حملة انجليزية مدينة الجزائر في نفس السنة كما تمت الإشارة اليه[40]. أما في ربيع 1681م فقد قام قائد الاسباني لوهران بحملة كبيرة على مستغانم انتهت بوقوعه في كمين نصبه له الجزائريون، وتمكنوا من قتله وقتل معظم من كان معه، وباتت وهران في وضعية صعبة[41].

كما تعرضت الجزائر في تلك الفترة لتحرشات عديدة من المغرب الأقصى، وخصوصا في عهد السلطان إسماعيل[42] رغبة منه في توسيع نفوذه[43]، وفي ذلك الاطار أرسل بعض المرابطين إلى تلمسان، من أجل إثارة الشغب والعصيان على حكام الجزائر، فكان الرد بتشجيع وتدعيم بعض المطالبين بعرش المغرب، مما أزعجه كثيرا وسبب له متاعب داخلية شاقة.[44] فشن حملة على الجزائر عام 1679م انهزم فيها على ضفاف وادي الشلف، ثم حملة ثانية عام 1680م على قبائل بني يزناسن في إقليم تلمسان قصد الانتقام منها[45].

أما العلاقة مع تونس في تلك الفترة فقد تميزت بحسن الجوار والتعاون ولو بشكل محدود، حيث امتنع الداي محمد التريكي عن التعاون مع المناوئين لباي تونس. فلما قام شعبان خوجة داي تونس في 1672م بمحاولة الإطاحة بحكم الباي مراد الثاني[46]، من أجل استعادة السلطة لمنصب الداي الذي جرده البايات المراديون منها، أمل في التعاون مع الجزائريين، ولاسيما مع باي قسنطينة، ووعد هذا الأخير بتعيينه بايا على تونس، ولكن الباي مراد الثاني تمكن بسرعة من إحباط المحاولة ونجح في تنحية الداي شعبان، والقبض على الضالعين معه في المحاولة[47]، أما داي الجزائر فقام من جهته بعزل باي قسنطينة الذي مال إلى الاستجابة لداي تونس، وكان يريد هو أيضا الإطاحة بداي الجزائر ولكنه لم يتمكن من ذلك، ولم ينجه من القتل إلى فراره[48].

فلما توفي الباي مراد الثاني سنة 1675م، وافتتن ولداه محمد وعلي وعمهما محمد الحفصي على السلطة، وقفت الجزائر على الحياد، ولكن لما طالت الحرب الأهلية، وصارت ملاحقة المنهزم منهم تجري أحيانا حتى في داخل الأراضي الجزائرية[49]، قررت الجزائر التدخل لإصلاح ذات البين. وقد توجه لذلك الغرض بابا حسن في محلة عسكرية نحو الحدود التونسية، وعقد صلح بينهم في أوائل ذي القعدة 1091هـ (أوائل ديسمبر 1680م)، ورجع إلى الجزائر[50]، وقد أشاد ابن ابي دينار بفضل بابا حسن في عقد الصلح بين المتنازعين فقال: (فكان هو السبب في التئام الكلمة حتى أصلح الله حال هذه الأمة وتدارك بلطفه أحوال العباد...) [51].

وعرفت البلاد في تلك الفترة أيضا كثرة الأوبئة، وخاصة وباء الطاعون الذي كان يضعف إلى حد كبير جيوشها بما يلحقه من خسائر بشرية. فوباء 1678م مثلا قضى تقريبا على كل الجيش الجزائري الذي كان محاصرا لمدينة وهران[52]، وكذلك عرفت سنوات (1671م-1675م) أوبئة مماثلة[53].

وبحلول عام 1682م ونتيجة لتلك الاوضاع، وشروع فرنسا في الاستعداد لشن حملة على الجزائر، تنازل الدي المسن الحاج محمد التريكي عن الحكم لصهره حسن شاوش (بابا حسن)، والذي كان إلى جانبه منذ تنصيبه دايا للجزائر عام 1671م، بحيث كان هو القائد الفعلي للبلاد[54]

– عهد الداي حسن شاوش كاهية المعروف ببابا حسن (1682م – 1683م):

كان زوج أبنت الداي السابق ورفيقه طوال مدة حكمه، بحيث كان يمارس كل صلاحيات الداي، ويسهر على أمنه وسلامته، بإفشال أي محاولة للإطاحة به، وعليه فإن عهده ورغم قصره كان استمرارًا لعهد سابقه، وكان يتابع عن كثب تحركات ومخططات فرنسا، حيث أعاد القوات الجزائرية التي وجهها إلى تلمسان عام 1682م قصد ضرب القوات المغربية التي كانت تحاصرها، إلى العاصمة مباشرة بعد هزيمة المغاربة وطردهم إلى بلادهم دون ملاحقتهم، لعلمه بقرب توجه الحملة الفرنسية إلى الجزائر[55].

وبالفعل فبالرغم من محاولة كل من الديوان، والقنصل الفرنسي لوفاشي، ومدير الباستيون دوسول، العمل على تجنب الحرب، والوصول إلى حل سلمي للمشاكل، فإن الملك لويس الرابع عشر كان مغرورا ومتعطشا للحرب، مما جعله يأمر الحملة بالانطلاق تحت قيادة دوكين من ميناء طولون في مطلع شهر جويلية 1682م، نحو سواحل الجزائر، حيث قذف مدينة شرشال أولا، ثم وصل إلى سواحل مدينة الجزائر وبدأ في قصفها بدون هوادة إلى غاية 12 سبتمبر 1682م، حيث بدأت مياه البحر في الاضطراب فانسحب دون تحقيق أي نتيجة سياسية أو عسكرية يمكن أن تذكر أو تعد لصالح فرنسا[56].

غير أن الفرنسيين لم يكتفوا بما اقترفوه في حق مدينة الجزائر من دمار وخراب، الناجم عن حملة عام 1682م، فجهزوا حملة أخرى في صيف العام الموالي، أي عام 1683م تحت قيادة نفس القائد، الذي لم يشف غليله في العام المنصرم، فشرع بقنبلة المدينة بدون أي رحمة حتى كاد الداي بابا حسن يرضخ لشروطه المجحفة، الأمر الذي شجع الريس حسين ميزومورتو على الاطاحة به وقتله[57].

كما يذكر أن الملك المغربي نسق هجومه على تلمسان في صيف عام 1682م مع هجوم دوكين على شرشال ومدينة الجزائر، وذلك لتأكده من انشغال الجيش الجزائري في التصدي للحملة الفرنسية، وعدم قدرته على ترك المدينة والتوجه إليه من أجل تأديبه، غير أن الديوان كان حازما معه، حيث أرسل له خطابا يطلب منه الرحيل وفك الحصار، ففعل بعد فشله في دخول المدينة[58].

– عهد الداي حسين ميزومورتو وإبراهيم خوجة (1683م – 1689م):

وصل إلى الحكم مستغلا السخط الذي عم البلاد على الفرنسيين، ومطالبهم التعجيزية التي اشترطوها من أجل توقيف قنبلة المدينة، حيث أوعز إلى أحد أتباعه المخلصين وهو إبراهيم خوجة لقتل الداي بابا حسن، واستلام الحكم هو بدل عنه، واعلن مواصلة الحرب دون توقف ضد الفرنسيين، وأرسل مباشرة خطابا شديد اللهجة إلى قائد الحملة الفرنسية دوكين في 22 جويلية عام 1683م[59].

وفي خضم تلك الاحداث تم اكتشاف تجسس القنصل الفرنسي لوفاشي على الجزائر لصالح أسطول بلاده، مستخدما نشر غسيله بترتيب معين، وقطع مميزة، وألوان مختلفة، كإشارات تعطي للاسطول معلومات سرية تساعده في تحديد أهداف قصفه، فعوقب بربطه إلى فوهة مدفع وقذفه على الفرنسيين، فتطايرت أشلاؤه في عرض البحر، ونفس المصير عرفه 20 فرنسيا آخر من أعوانه، وأمام هذا التحدي لم يجد دوكين بدا من الانسحاب في شهر أكتوبر بعدما فشل في تحقيق شروطه[60]. بعد ان كلفت حملتيه تلك الخزينة الفرنسية أكثر من خمسة وعشرين (25) مليون فرنك دون أن تحقق أية نتيجة تذكر[61]، مع تسجيل أضرار جسيمة بمدينة الجزائر جراء القنابل التي تساقطت عليها، مما جعل الطرفان وخاصة الطرف الفرنسي يسعى إلى ضرورة عقد صلح في ظل عدم جدوى الأعمال الحربية والعسكرية التي كانت نتائجها سلبية على الطرفين، فطلبت فرنسا وساطة الباب العالي لحمل الداي على توقيع صلح معها، وهذا ما يفسر رفض الديوان في الجزائر ذلك لعلمه أن فرنسا ستتعامل مع هذا الصلح كباقي المعاهدات السابقة، فأرسل السلطان العثماني نائبا عنه رفقة المفاوض الفرنسي تورفيل، الذي وصل إلى الجزائر في 02 أبريل 1684م[62].

وبعد مفاوضات دامت لأكثر من عشرين يوما تم إبرام معاهد عرفت باسم معاهدة تورفيل في 24 أبريل 1684م[63] لمدة مائة عام اشتملت على 29 بندا، جاءت بعضها شرحا وتفصيلا للبعض الآخر، حيث التزم الطرفان الجزائري والفرنسي في هذه المعاهدة بضرورة احترام المعاهدات والاتفاقيات التي سيتم إبرامها في المستقبل بين إمبراطور فرنسا والديوان في الجزائر، كما تعهد بإطلاق سراح أسرى البلدين، حيث تعهد ديسو مدير الباستيون بنقل الأسرى من فرنسا إلى ميناء الجزائر أين يتم تبادلهم مع الأسرى الفرنسيين رجلا برجل، وقبل توقيع معاهدة السلم أي في 23 أبريل 1684 تم توقيع معاهدة لإعادة استغلال الباستيون، وأكد من خلالها الطرفان على ترتيبات المعاهدات السابقة خاصة معاهدة 11 مارس 1679م[64].

غير أن التجسس الفرنسي على الجزائر قد استمر بأوجه وأشكال متعددة في هذه المرحلة، والتي يذكر منها التجسس الذي كان يمارسه كل من القس مونتماسون Montmasson، الذي خلف الأب لوفاشي، والقنصل بيول Piole، الذي عين بعد اقرار معاهدة السلم المئوية بين البلدين، حيث أبلغا الحكومة الفرنسية في أفريل 1687م، بأن الجزائر على وشك اعلان الحرب عليها، معتمدين في ذلك على المعلومات التي جمعاها عن تزود الجزائر بكمية هامة من الاسلحة، تم شراؤها لدى مجاهدي مدينة سلا المغربية، وكذلك المعلومات التي جمعاها عن عزم الجزائر بناء قلعة بحرية قوية في ميناء رأس ماتيفو[65]، ولقد اقترحا تخريبها أو بالأحرى تدميرها قبل إكمال بنائها، كما قام الدوق مورتمارت Mortemart[66] في شهر جانفي 1687م بالتعريج على مدينة قادس الاسبانية، لأنه علم عن طريق جواسيس بلاده، أن هذه المدينة قامت بتقديم العون لسفينة جزائرية، كان على ظهرها فرنسيون محتجزون تم أسرهم على متن سفن هولندية[67].

كما عرفت الجزائر في تلك المرحلة قدوم العديد من الزيارات، والتهديدات لقادة الاساطيل الفرنسية، لتعطي مؤشرات لنقض معاهدة الصلح لعام 1684م، قبل أن يعد الماريشال دوستري D'Estrées[68] حملة عسكرية على مدينة الجزائر سنة 1688م، لتكون نقضا صريحا لمعاهدة تورفيل 1684م.[69] حيث بدأ التوتر بين البلدين بعد استيلاء البحرية الجزائرية سنة 1687م على سفينة مشبوهة قرب مدينة الجزائر، قادمة من الشرق تحمل أسلحة من مالطا، وتعمل لحساب البندقية، وتحمل جوازا فرنسيا كانت مهمتها التجسس قصد معرفة ما إذا كان الأسطول الجزائري سيذهب لمساعدة الأسطول العثماني في حربة ضد البندقية بهدف مفاجأته في البحر المتوسط. وما زاد من الشكوك نحو فرنسا عندما أصبح رياس البحر الجزائريون يعثرون على جوازات سفر فرنسية في أيدي أعداء الجزائر، وهو خرق صريح لاتفاق السلام الموقع عام 1684م. وللضغط على الجزائر قامت السلطات الفرنسية بإرغام الأسرى الجزائريين الموجودين لديها على مكاتبة بلادهم، لتعظيم حجم الاستعدادات الفرنسية لغزوها، ودفعها لقبول شروط الحكومة الفرنسية.[70] التي حرصت على إيصال تلك الرسائل إلى الديوان، ولنفس الغاية ركز مدير الباستيون "ديسول M. Dusault" في رسائله إلى الداي على إبراز ضخامة القوات الفرنسية، وضرورة تجنيب الجزائر هذه الحملة بإرسال وفد إلى فرنسا قصد تسوية الأزمة، وإيقاف كل الأعمال العدائية ضد فرنسا[71].

كما كتب للداي أيضا يهدده من عواقب ما يشاع في فرنسا، أن الجزائريين يقذفون الأسرى الفرنسيين من فوهات المدافع، وأن فرنسا سترد بالمثل في حالة ما إذا لم تستجب الجزائر للمطالب

الفرنسية، كما حذر آغا عنابة وباي قسنطينة من عواقب امتناعهم عن شحن الحبوب التي اشتراها شركاؤه[72]، غير أن تلك المراسلات لقيت ردا عنيف من الديوان، عبر فيه الداي عن عدم رضاه من تدخل ديسول في أمور السياسة[73].

وما أن علم حكام الجزائر عن طريق جواسيسهم، المنتشرين في مختلف الموانئ والمدن الفرنسية، بحجم وقوة الاستعدادات التي باشرتها فرنسا لإعداد وتجمع حملة الماريشال دوستري في ميناء طولون، حتى شرعوا في تقوية تحصينات ومدفعية الميناء والأبراج والسواحل، وتزويدها بالذخيرة والبارود[74]. كما عملوا على رفع الحصار الذي ضربوه على مدينة وهران عام 1688م، واعادت تلك القوات إلى مدينة الجزائر قصد المشاركة في التصدي إلى الحملة الفرنسية[75]. التي وصلت إلى الجزائر في شهر جوان عام 1688م وبدأت في قنبلة المدينة، فما كان من الداي إلا أن اعدم القنصل الفرنسي الجاسوس أندري بيول André Piolle وكل معاونيه، وذلك بوضعهم على فوهة المدافع وقذفهم في وجه الاسطول الفرنسي، الذي رمى آلاف القنابل على المدينة، فدمر معظم بناياتها، وأغرق خمس سفن بالمرسى، وحطم قنوات الري داخل وخارج المدينة[76].

لكن تلك الحملة لم تأت بالنتائج المرجوة، فالداي لم يكتف برفض المطالب الفرنسية فقط، بل كان يقود المعركة بنفسه حيث أصيب في رأسه من وقع انفجار إحدى قنابل المدفعية الفرنسية، وما إن انسحبت الحملة حتى هاجم الأسطول الجزائري السواحل الفرنسية، لدفع سكانها للضغط على السلطات الفرنسية بباريس، ردا بالمثل على ما فعله الفرنسيون قبل الحملة، مع الأسرى الجزائريين لدفع الديوان الجزائري بقبول شروط فرنسا[77].

وأمام ذلك التطور الخطير في مسار الأوضاع بالنسبة للبلدين، ونظرا لعلم الفرنسيين برغبة الانجليز في تمتين علاقاتهم مع الجزائر ولاسيما التجارية منها، والحلول بدل الفرنسيين في المراكز التجارية، بالجزائر وبكل المشرق[78]، فقد سعوا سرًا إلى ربط اتصالات مع حكام الجزائر، وعقد معاهدة سلام جديدة، وفي ذلك الاطار حضر إلى الجزائر في شهر أفريل 1689م سوراند Sorhaind في مهمة سرية، وحضر بعده مارسيل قيوم Marcel Guillaume، نائب رئيس البحرية الفرنسية في 19 سبتمبر 1689م، وأمضى معاهدة سلم جديدة مع الجزائر، عرفت باسمه، ونصت على تطبيق معاهدة تورفيل السابقة (1684م)، وعلى تبادل الأسرى، وإعادة فتح مؤسسة الباستيون الفرنسي بنفس المبالغ السابقة[79].

أما في الناحية الغربية من البلاد فقد شن القائد الاسباني الجديد لوهران عام 1685م، هجوما على ما جاوروها من سهول، بهدف محو آثار هزيمة سابقه[80]، غير أنه باء بالفشل وقتل هو الآخر في كمين نصبه له الجزائريون[81]، ثم كان التضييق على الاسبان في وهران من طرف باي بيلك الغرب الباي شعبان الزناقي (1679م – 1686م)، الذي تم اغتياله غدرا عام 1686م من طرف أحد المغاطيس تحت أسوار مدينة وهران[82]، وذلك بعد تمكن الإسبان من استمالة بعض القبائل في الغرب الجزائري، واستغلالها في التموين والجوسسة والتآمر (المغاطيس)[83]، ثم من طرف الداي إبراهيم خوجة الذي نال هذا المنصب بعد عودته من حملته الناجحة على تونس عام 1686م، وذلك بعد أن حصل ميزومورتو على لقب الباشوية في نفس العام، غير أن ابراهيم خوجة تنازل عن ذلك المنصب والتمس تكليفه بقيادة حملة على وهران من أجل حصارها فقضى هناك عدة سنوات (من 1686م إلى غاية 1689م)، غير أن جهوده باءت بالفشل في الأخير[84].

كما عرفت العلاقات بين الجزائر وتونس في تلك الفترة قيادة إبراهيم خوجة لحملتين على تونس الأولى في 1684م لمساعدة الباي محمد[85]، والداي شبلي ضد الباي علي[86]، ثم الثانية في 1685م لمساعدة الأخوين محمد وعلي ضد الداي أحمد شبلي في انتزاع الحكم بتونس، ولو سارت الأمور كما أرادها حسين ميزومورتو لكانت هناك حملة ثالثة في 1689م لمساعدة صهر الباي محمد وهو ابن شكر الذي لجأ إلى الجزائر ثم أجلت الحملة[87]. وكان ذلك كرد فعل جزائري ضد الباي محمد الذي تحالف وتآمر مع أعداء الجزائر ومنافسيها، حيث عرض خدماته على الفرنسيين أيام صراعهم مع الجزائر، خاصة أيام حملة الماريشال دوستري D'Estrées على مدينة الجزائر عام 1688م، ففتح موانئ بلاده لهم، ومنع قدوم الجزائريون لها، وإعلام الحكومة الجزائرية والقنصل الفرنسي بذلك، مع اقتراحه على فرنسا وضع قطع من أسطولها بموانئه، للوقوف ضد الجزائريين وأسرهم في حالة قدومهم[88]. كما سعى خفية لتأليب القبائل الحدودية أو المقيمة في بايلك الشرق، سواء بتشجيعها على الهجرة نحو تونس، وحرمان الخزينة الجزائرية من اراداتهم، أو بتحريضها على عدم دفع الضرائب للخزينة الجزائرية، وتحصيلها لخزينة تونس، كما هدد وأرهب القبائل التي حافظت على ولائها لحكام الجزائر، بتشجيع وإرسال اللصوص وقطاع الطرق للقيام بأعمال عدائية ضدها، مما اضر ببيلك الشرق[89].

لذلك قرر ميزومورتو شن حملة على الباي محمد في عقر داره وتنصيب صهره ابن شكر بدل عنه، غير أنه تراجع عن ذلك القرار بسبب نقمته على الداي إبراهيم خوجة، لمحاولته تدبير انقلاب عليه

بعد رجوعه من وهران، واضطرار ذلك الأخير للنجاة بنفسه بالفرار إلى تونس ومنها إلى المشرق، هذا بالإضافة إلى رفض قادة الجيش لذلك الغزو، وتأمرهم على الباشا حسين ميزومورتو في خريف لميله إلى إبرام السلم مع فرنسا في 1689م، وانتهى به المطاف في يد الباي محمد بتونس، ومنها إلى اسطنبول حيث تولى عام 1694م منصب قائد البحرية العثمانية، وبذلك كانت نهاية حكم الرجلين وبداية مرحلة حكم الداي شعبان[90].

– عهد الداي شعبان خوجة (1689م – 1695م):

يذكر البعض أنه هو أول قائد إنكشاري يصل إلى منصب الديلكية بعد أن كان سابقيه الأربعة من فئة رياس البحر[91]، وقد ورث عن سابقه أوضاع متدهورة سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، حيث كان من بينها تفشي وباء الطاعون في البلاد خلال عامي 1687م و1688م وحصده لألاف الأرواح، وما ترتب عن ذلك من أثار وتبعات على عدد السكان وامكانيات البلاد[92]، هذا إلى جانب أثار الدمار الذي لحق بمدينة الجزائر التي تعرضت إلى العديد من الحملات الأوروبية في تلك العشرية، والتي أطلقت عليها عشرات الالاف من القذائف، كانت أخرها حملة الماريشال دوستري D'Estrées عام 1688م، والتي أطلقت لوحدها على المدينة وتحصيناتها 10420 قذيفة في 15 يوم، مما أحدث دمارا هائلا بها[93].

غير أن حكمة وحنكة الداي شعبان جعلته يتخطى كل تلك الظروف الصعبة، ويعيد للجزائر مكانتها وقوتها في وقت قصير، وشجع الغزو البحري مما أوصل البحرية الجزائرية إلى الذروة في الهجوم وكسب الغنائم، ومراقبة الملاحة في البحر المتوسط، فتسابقت الدول لكسب ودها والتحالف معها[94].

ولكن مع ذلك فإن الجارة تونس ورغم الخدمات الكبيرة التي قدمتها الجزائر للباي محمد، فأن هذا الأخير ناصب العداء للجزائر في السر والعلانية، مما جعل الداي شعبان يراسله عشرات المرات للكف عن تلك السلوكات المشينة، والتي تضر بالعلاقات بين البلدين أكثر مما تنفع، ونفس الاجراء قام به السلطان العثماني، الذي أرسل إليه أوامر عديدة في نفس الغرض، يطلب منه الكف عن كل عمل يزيد في الفرقة، ويحثه في المقابل على التعاون والعمل المشترك مع الجزائر، لكن هذا الاخير لم يعر تلك الرسائل، وحتى تلك الاوامر أي اعتبار، وواصل سياسته العدائية الاستفزازية ضد الجزائر دون أي رادع[95].

بل ذهب إلى أبعد وأخطر من ذلك، حيث شرع في إجراء جملة من الاتصالات والمفاوضات، مع السلطان المغربي، وذلك من أجل التآمر على الجزائر والتحالف ضدها، مستغلين وضعها، وحالة

الاضطراب الداخلي الذي كانت تعيشه، الامر علم به الداي شعبان في حينه، أي عام 1692م، وهو الذي كان يخطط سرا للانتقام من باي تونس منذ عام 1689م، لما هرب ابراهيم خوجة إلى تونس وحصل على الامان بها[96].

ومما زاد في كشف المخطط التآمري التونسي المغربي على الجزائر، هو تصريح السفارة المغربية التي وجهها السلطان المغربي إلى الجزائر عام 1692م، تحت قيادة ولده عبد الملك، وبعضوية وزيره، ومفتيه، وكاتبه الاول، قصد عرض الصلح على حكام الجزائر، وذلك إثر هزيمته على يد القوات الجزائرية بملوية في نفس العام، حيث أطلعت الداي على الرسائل التي كتبها الباي محمد إلى السلطان المغربي، والتي تضمنت إقامة حلف تونسي مغربي من أجل القضاء على الوجود العثماني في شمال افريقيا بأقطاره الاربعة، يكون البدء بالجزائر، ثم تونس فطرابلس، وصولا إلى مصر، توحد تحت راية السلطان المغربي، ويكون هو أي الباي محمد وزيره الاكبر في تلك الدولة المترامية الاطراف، فقبل السلطان المغربي لأن الاقتراح يخدمه[97].

لذلك عمل الداي شعبان على الاتصال بحكام طرابلس من أجل التحالف ضد الباي محمد، الذي كان قد غزاهم عام 1692م، وذلك بالتزامن مع غزو سلطان المغرب للجزائر، التي لم يكن في وسعها التدخل لنصرتهم بسبب انشغالها بالتصدي للغزو المغربي المذكور، فاستحسن الطرابلسيون الفكرة وأرسلوا مبعوثهم إلى الجزائر، قصد الاتفاق على الحملة[98].

أما من ناحية الحدود الغربية فقد عزم سلطان المغرب على غزو إقليم وهران بالغرب الجزائري عام 1692م كما سبق ذكره، حيث شن حملة وصلت حتى وهران، وقد باءت محاولة افتكاكها من الاسبان بالفشل[99]. فأعد له الداي شعبان العدة وزحف نحوه إلى ضفاف وادي ملوية، أين كانت الغلبة للجزائريين، فأضطر إلى طلب التفاوض وحقن الدماء، معترفا للداي شعبان بضلوع الباي التونسي محمد في التآمر معه على الجزائر، كما أقدم الباي محمد على تأليب حركة داخلية لتتمرد وتطيح بجيش الداي شعبان بدلا عنه، بعد عودته من حرب المغاربة منهزما، أو منهك القوى فيسهل هزيمته[100].

وإزاء تمادي الطرفين المغربي والتونسي في مناصبة العداء للجزائر، عزم الداي شعبان على لجم الاول عن طريق إشغاله بتمرد وثورة ابنه محمد العالم في الجنوب الشرقي للمغرب[101]، مع تدعيم الحدود الغربية وبيلك الغرب بالتعزيزات العسكرية الإضافية، قصد التصدي لأي خديعة من طرفه، وبذلك أمن الجبهة الغربية واطمأن عليها. أما الثاني فقد عزم على تولي أمره بنفسه وذلك بعد فراغه من

القضاء على الثورة، التي وجدها قد اشتعلت في مدينة الجزائر أثناء غيابه أيام حملته على المغرب، والتي ما أن تمكن من دحرها حتى شرع في التحضير الحثيث للحملة العسكرية، التي قادها وزحف بها إليه بتونس في ربيع عام 1694م، للانتقام من الباي محمد، بالتنسيق مع حكام طرابلس[102].

وكان الزحف الجزائري على تونس في ربيع 1694م، حيث انهزم جيش الباي محمد في منطقة الكاف فانسحب إلى مدينة تونس للتحصن بأسوارها، فلحق به الجيش الجزائري بمؤازرة الجيش الليبي، الذي وصل متأخرا عن الموعد المتفق عليه سابقا، إلا أنه كان دعما جاء في وقته، ورغم الدعم الفرنسي العسكري لمحمد باي الذي مدد في طول مدة الحصار، وزاد في خسائر الطرفين، إلا أن النصر كان حليف الجيش الجزائر الليبي، بعد فرار محمد باي من المدينة[103].

وكانت فرنسا تتابع نتائج الحملة باهتمام كبير، حيث سجل قنصل فرنسا بالجزائر أثناء عودة الحملة من تونس في مراسلته إلى وزير البحرية الفرنسي بتاريخ 01 مارس 1695م أن الجيش الجزائري عاد ومعه غنائم كبيرة، يذكر منها 120 بغلاً محملاً بالذهب والفضة، أما نظيره في تونس فقد أخبر بأن الجزائريين غنموا في ميناء غار الملح التونسي ست سفن كانت راسية به وسواري كثيرة[104].

ان النشاط الحربي الجزائري، وكل ما كان يحيط به، كان يعتبر بالنسبة للسلطات الفرنسية بمثابة خطر يهدد قوتها تهديدا مباشرا، وهذا رغم حالة السلم المؤقت والحذر التي كانت تسود بين الدولتين[105]. لذلك عملت سرا على محاولة تأليب وتدعيم القوى المجاورة للجزائر، وعلى رأسها المغرب الأقصى، الذي عمل سلطانه على استغلال أي ظرف من أجل تحقيق توسعات ومكاسب ترابية على حساب الجزائر، وفي ذاك الاطار دعمته فرنسا عام 1694م بكمية هامة من مادة الكبريت تقدر بـ 600 قنطار، والتي تدخل في صناعة الرصاص، وذلك رغم الحظر الفرنسي الرسمي عن تزويد المغرب بهذه المادة منذ القرن السادس عشر، وهذا ما يؤكد تشجيع فرنسا لاقتتال الدولتين[106]. أما الدعم الفرنسي للطرف التونسي فكان أكبر وأخطر، حيث عمل القنصل الفرنسي بتونس السيد سورهاند Le consul Sorhainde بكل جد وفعالية على تحريض وتدعيم باي تونس محمد، الذي أعلن العداء ضد الجزائر، وذلك بعد أن تفرد بالحكم وقضائه على أخيه "علي باي المرادي"، وبقية المنافسين له، خاصة أيام الحملة الجزائرية الليبية على تونس عام 1694م، بقيادة الداي شعبان[107]، أين أرشده ذات القنصل إلى حفر الخنادق، وإقامة الألغام، وزوده بالمعدات والبارود وقذائف المدفعية من ميناء طولون على ظهر ستة سفن، أيام حصار مدينة تونس من طرف الجيش الجزائري، ولم يكتف بذلك حيث دعمه بمختصين في سلاح المدفعية من الفرنسيين، تولوا إطلاق النار على الجيش الجزائري، مما

مدد فترة تحمل الجيش التونسي لأكثر من مئة يوم، وزاد في خسائر الطرفين. ولكن كل ذلك لم يكن ليخفى على استخبارات الجزائر، التي كانت تراقب الوضع عن كثب، ونقلت كل التفاصيل إلى الداي شعبان، الذي اعتمد على تلك المعطيات والمعلومات الاستخباراتية في تحرير رسائل الاحتجاج، التي بعث بها إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، محتجا ومعاتبا عن اخلال قنصله المذكور بواجب الحياد في الصراع الذي كان يجمع الجزائر بتونس، وأكد له فيها أيضا عن تمسك الجزائر بمعاهدة السلم التي تجمع البلدين، رغم العروض التي تلقتها من دول أخرى منافسة لفرنسا[108]، الامر الذي أحرج البلاط الفرنسي، وجعله يضحي بالقنصل الفرنسي بتونس السيد سورهاند Le consul Sorhainde، حيث تم عزله من منصبه في شهر أفريل عام 1695م، وهذا ما يؤكد تورط فرنسا في تلك المؤامرة[109].

وعليه يعتبر البعض أن عام 1694م كان محطة بارزة في العلاقات الجزائرية الفرنسية، وذلك لأن هذا العام عرف تسوية الخلافات بصورة نهائية، على الاقل حتى عام 1715م تاريخ وفاة الملك لويس الرابع عشر،[110] غير أن النشاط الاستخباراتي بين الدولتين لم يتوقف يوما رغم حالة السلم الحذر الذي ساد بينهما، هذا إلى جانب مساهمة الطرفين في مختلف الاحداث التي عرفتها المنطقة، كما سوف يتم الاشارة إليه لاحقا.

كما توسع نفوذ الداي شعبان ليشمل ولو لفترة قصيرة الجزائر، وتونس، وطرابلس، لأن الدويلات الثلاث غدت بمثابة دولة واحدة، هو رئيسها، وهو نائب السلطان العثماني فيها، ويستشف ذلك من رسالته إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر بتاريخ 6 مارس 1695م، والتي يذكر فيها أن السلطان العثماني هنأه على انتصار حملته بخلعه سلطانيه، وأنه عينه أميرا وقائدا عاما للجمهوريات الثلاث[111].

وكان يريد التدخل مرة أخرى ضد الباي محمد في تونس بعد عودته إلى حكمها استرداد الملك من ابن شكر في شهر ماي 1695م، ولكن الأمر لم يستقم له بعد تمرد عليه الجند العائدين من الشرق يوم 5 أوت 1695م، حيث ألقوا عليه القبض وبعد تعذيبه لمدة 10 أيام في السجن تم قتله يوم 15 أوت 1695م، وبذلك كانت نهاية الداي شعبان مأساوية، لعدة أسباب منها تصميمه على الدخول في حرب جديدة ضد محمد باي تونس دون موافقة الجند[112].

– عهد الداي الحاج أحمد الاسكافي (1695م – 1698م):

لقد كان الداي أحمد إنكشاريا قديما أصبح إسكافيا عثر عليه بعض الجنود المتمردين على الدي شعبان، يوم 6 أوت 1695م، جالسا أمام منزله، فحملوه على الأكتاف وأعلنوه دايا على الجزائر، وقد حكم على سلفه بإعدام، كان غريب الطباع وشديد الخوف من الانقلاب عليه[113].

ابتدأ عهده باستقبال السفارة التي بعثها الباي محمد لإبرام السلم مع الجزائريين، والتي رفض سلفه الداي شعبان استقبالها، وأجبرها على مغادرة الجزائر، غير أنها عادت بعد الإطاحة به وتمكنت من مقابلة الدّاي الجديد، ومن تسليم الهدية التي كانت تحملها من الباي إليه ومن التفاوض معه، والتوصل إلى عقد السلم معه، وبذلك ساد السلام بين البلدين وقد قضى الباي محمد السنة الأخيرة من حكمه في اطمئنان، لم ينغص عليه الحياة فيها إلا مرضه الصدري الذي كان سببا في وفاته 1696م، وقد تولى الحكم في تونس رمضان باي بعد أخيه بتأييد من الجزائر لتستمر العلاقات في سلام وحسن جوار[114].

أما الداي أحمد فانه كان في حاجة إلى السلم مع تونس، ليتفرغ للحرب المغرب، الذي خرق سلطانه اتفاق السلام الذي أبرم مع الجزائر في سنة 1692م، وكثرت هجوماته على منطقة الغرب الجزائري، والتي منها الهجوم الذي قاده محمد العالم أحد أبناء السلطان إسماعيل في فيفري 1696م، ذلك الهجوم الذي وقع في كمين جزائري قتل فيه معظم الجيش المغربي[115]، هذا إلى جانب عدة هجومات في صيف وخريف نفس السنة انتهت بانسحاب القوات المغربية بعد تحقيق بعض المغانم، ورغم توصل الداي أحمد لاتفاق مع السلطان المغربي عام 1697م، إلا أن الهجومات المغربية تواصلت عام 1698م، وكان أشهرها الهجوم الذي قاده السلطان إسماعيل نفسه على قبائل بني عامر، وصد الاسبان في مدينة وهران غير أنه فشل فعاد إلى بلاده[116].

كما عرفت العلاقات الجزائرية الفرنسية، والجزائرية الأوروبية عموما في تلك الفترة استمرار حالة الهدوء، لكن مع الاسبان فقد استمرت حالة العداء لاحتلالهم مدينة وهران والمرسى الكبير، غير أنه لم يتم التركيز عليهم لانشغال الجيش الجزائري بمقارعة الجيش المغربي، مما جعلهم ينعمون بنوع من الهدوء والسلام، وذلك رغم رفض الداي أحمد لعرض السلام معهم لمدة سبع سنوات، الذي تقدموا به مقابل مال يدفعونه له عن كل سنة وقدره 40 ألف بياستر[117].

وعرف عهد الداي احمد تعاون الاسطول الجزائري مع الاسطول العثماني، وشهد أيضا انتشار وباء الطاعون، الذي راح ضحيته عدد كبير من السكان، وقد مات الدّاي أحمد في نهاية عام 1698م على فراش المرض[118].

– عهد الداي حسن شاوش (قارة بغلي) (1698م – 1700م):

تولى قيادة البلاد بعد انتخابه دايا على الجزائر في نهاية عام 1698م، فحافظ على العلاقات الحسنة مع فرنسا وباقي الدول الأوروبية التي تربطها مع الجزائر اتفاقيات مثل إنجلترا وهولندا، أما باقي الدول فقد استمر معها العداء وعلى رأسها اسبانيا[119].

أما العلاقة مع المغرب فقد عرفت تدهور واضطراب من جديد، حيث قام هذا الاخير بعدة هجومات على الأراضي الجزائرية، كالهجوم الذي قام به القائد ابن الرامي أحد قادة السلطان إسماعيل على الغرب الجزائري في مارس 1699م، وبه تمكن من احتلال إحدى القرى القريبة من وهران ونهبها. وهجوم زيدان ابن السلطان إسماعيل في خريف 1699م، والذي وصل به إلى مدينة معسكر، مقر بايلك الغرب الجزائري، وتمكن بفضله من العبث فيها، ثم الرجوع بالغنائم الوفيرة إلى المغرب، غير أن المنطقة عرفت هجوم جزائري مضاد في ربيع 1700م، ألحق الهزيمة بالقوات المغربية على الحدود عدة مرات، وأثار الرعب في قلب السلطان إسماعيل، الذي أرسل المزيد من الإمدادات إلى حدود بلاده للتصدي للهجوم الجزائري المحتمل عليه[120].

لكن الأمور ازدادت سوءًا مع تونس بوصول الباي مراد الثالث[121] إلى الحكم فيها عام 1699م، وذلك بعد رفض الجزائريين عرض الصداقة الذي تقدم به الباي المذكور فور توليه، فأخذ يعد العدة للتصدي لحملة جزائرية محتملة، بل للهجوم على الجزائريين، فقام بعدة خطوات منها طلب توفير البارود والعتاد الحربي وغير ذلك مما هو في حاجة إليه من فرنسا والتي رفضت[122]، ومن بعض الدول الأوروبية، كما اتصل بسلطان المغرب من أجل الاتفاق معه على الهجوم ضد الجزائر في وقت واحد[123]، ولم يكتف بذلك حيث اتصل أيضاً بصاحب طرابلس خليل باي وضمن مساندته له[124]، وفوق كل ذلك جدّد التحالف مع أخواله الحنانشة[125].

وفي أوائل شهر جوان عام 1700م، ومع انشغال الجزائريين بمحاربة سلطان المغرب الذي كثرت اعتداءاته على الحدود الغربية، زحف الباي مراد على عاصمة بيلك الشرق قسنطينة، التي وصلها في شهر جويلية وبعد معركة غير متكافئة هزم جيش البيلك المدافع عن المدينة، غير أنها استعصت عليه حتى بعد مصرع بايها اثناء دفاعه عن قلعتها، وحصارها لمدة ثلاثة أشهر بدعم وإمداد باي طرابلس له، أما في الجزائر فقد أثارت تلك الأخبار ثائرة الجند والضباط فيها، مما أدى إلى تنحي الدّاي حسن يوم 23 جويلية 1700م، وفسح المجال للديوان انتخاب الدّاي مصطفى عطشي خلفا له في نفس اليوم[126].

– عهد الداي مصطفى عطشي (1700م – 1705م):

حكم البلاد بعد تزكيته من طرف الجند عام 1700م، وذلك إثر عجز سابقه، الداي حسن شاوش (قارة بغلي) عن التصدي للوضع الصعب الذي آلت إليه الجزائر، ومغادرته البلاد بعد تنازله عن الدايلكية، وذلك عقب تعدد الاعتداءات المغربية والتونسية على الجزائر، وميله إلى المهادنة والمسالمة، فأجبر على التنازل والرحيل عن الجزائر، لقد كان الداي مصطفى ذكيا جدا، ويتمتع بشجاعة وإقدام كبيرين. فعمل على إرسال التعزيزات لبيلك الغرب للوقوف في وجه المغاربة، الذين اجتازوا الحدود تحت قيادة المنصور بن الرّامي في صيف 1700م، فهزمهم شر هزيمة، وبذلك أمن الجبهة الغربية إلى حين[127].

أما الاسبان فكانوا يستغلون أي ظرف يشغل الجيش الجزائري في نزاع مع أي طرف في المنطقة، لكي يغيروا على المناطق المجاورة لوهران قصد النهب والسبي وتموين المدينة المحاصرة، وذلك ما أقدم عليه حاكم وهران دون ألفاريز دو بازار Don Alvarez De Bazar في مطلع عام 1701م، حيث قام بحملة فاشلة على الارياف المجاورة لوهران ابيد اغلب جنودها، وكان من بين قتلاه الحاكم نفسه[128].

وسرعان ما عاد الاسبان بعد مدة قصيرة لشن هجمات على المناطق المجاورة لوهران في عام 1703م، فتصدى لهم الباي مصطفى بوشلاغم[129]، الذي كان قد نقل عاصمة بايلك الغرب من مدينة مازونة البعيدة نسبيا عن مدينة وهران، إلى مدينة معسكر القريبة عام 1701م، كي يتسنى له مراقبة تحركات الاسبان عن قرب، ومنع التعامل معهم، وذلك للزيادة في تضييق الحصار عليهم واستنفاذ زادهم وأقواتهم، شرع في فرض الحصار المباشر والمحكم على المدينة ابتداءً من عام 1704م[130].

أما بخصوص الجبهة الشرقية فقد جمع الداي مصطفى قواته على عجل عام 1700م وزحف على التونسيين، الذين كانوا محاصرين لمدينة قسنطينة عاصمة بيلك الشرق، وحين علم الباي مراد باقتراب الجيش الجزائري منه، رفع الحصار وأسرع بالسير غربا إلى منطقة عيون العلماء (العلمة حاليا)[131]، حيث اشتبك معه، ولكنه انهزم شر هزيمة رغم التفوق الذي كان يتمتع به في العدد والعدة، في معركة لم تدم إلا أربع ساعات حيث فر بعدها مسرعا نحوى بلاده تاركا عتاده ومؤونته خلفه[132].

ويذكر أن الداي مصطفى وبعد هزيمته للجيش التونسي، تحول للمرة الثانية إلى الجهة الغربية لملاقاة الجيش المغربي بقيادة السلطان إسماعيل نفسه، والحسم معه بعد أن كان متوجها إلى ناحية سطيف، كما كان متفقًا عليه مع الطرف التونسي، غير أن فطنة الداي مصطفى والتفاف أبناء القبائل الجزائرية

من كل المناطق به، ومشاركتهم بفعالية في نصرته، جعلته يهزم الجيش المغربي في يوم واحد بمنطقة الجديوية غرب سهل الشلف، حيث كاد السلطان إسماعيل أن يقتل في المعركة لولا فراره منها رفقة من انسحب من جنده[133]. غير أنه عاود الهجوم على بعض مناطق الغرب الجزائري في شهر فبراير 1701م، فنهض إليه الداي مصطفى واستطاع هزيمته وكاد يقتله، ففر هاربا بعدما مني بخسائر جسيمة في العدد والعدة، مما جعل الداي يعمل على إثارة بعض أبنائه، والسعي معهم إلى توسيع مناطق نفوذهم وتقويض ملكه، ولكن ذلك التحالف لم يعمر طويلا بسبب ميول الداي إلى العمل على دحر الاسبان في الغرب الجزائري[134].

وفي تلك الظروف شعر باي تونس مراد الثالث بخطورة الوضع بعد هزائم حليفه، فعمل على الاتصال بالسلطة الجديدة في طرابلس بعد الانقلاب الذي أطاح بخليل باي حليفه السابق ففشل، مما جعل الداي مصطفى يؤلب القبائل التونسية الحدودية على حكم مراد الثالث المستبد، كقبائل جبال طبرقة القريبة من القالة الجزائرية، التي ثار أهلها في أكتوبر 1701م، حيث قام لمحاربتهم ففشل وولى الادبار متظاهرا بأنه قد أقام صلحا معهم[135].

وشرع في إعداد حملة ثانية ضد الجزائر انطلق بها من تونس يوم 8 جوان عام 1702م، إلا أنه وبوصوله إلى منطقة وادي الزرقاء بالقرب من باجة، في يوم 10 جوان عام 1702م، أجهز عليه الأغا ابراهيم الشريف[136] وقتله مع جميع أفراد الاسرة المرادية، وتولى الحكم في تونس وانتهج سياسة المهادنة وحسن الجوار مع الجزائر، ولكنه عمل على تقوية الجيش التونسي، وبناء الحصون والقلاع وتدعيمها بما يلزم من عتاد حربي، مما جعل الحكومة الجزائرية تحس بخطورة الوضع، خاصة بعد بإقدامه على تصفية المناوئين له على الأراضي الجزائرية الحدودية دون حرج أو خوف[137].

وبحلول عام 1704م بدأت الأوضاع تتغير، والعلاقات تتدهور، خاصة بعد دخول تونس في صراع مع طرابلس وانهزام إبراهيم الشريف أمامها، ودخول الجزائر في اتصالات سرية معها ضد تونس، على خلفية عدم استجابة حكام هذه الاخيرة لطلبية الحكومة الجزائرية، قصد شراء كمية معتبرة من القمح التونسي، الذي بيع في المقابل إلى الدول الاوروبية، ليتطور الامر في العام الموالي إلى خروج حملة جزائرية في اتجاه تونس بقيادة الداي مصطفى، تمكنت من هزيمة التونسيين في الكاف وإلقاء القبض على ابراهيم الشريف، غير أنها عجزت في دخول مدينة تونس بعد فشل حصارها، وعادت منهزمة أمام المقاومة التي تزعمها حسين بن علي[138]، الذي اعتمد في رسم خططه الدفاعية والهجومية على المعلومات الاستخباراتية، التي كانت تصله من أخيه محمد بن علي وزوجته، اللذين كانا قد انظما إلى

الحملة الجزائرية ضد ابراهيم الشريف في أول الأمر، وإلى غاية يوم 6 أكتوبر 1705م، تاريخ انسحابهما رفقة 600 فارس من قبائل دريد التونسية، مما عجل بانسحاب الحملة الجزائرية، التي وصلتها أخبار أخرى من الجزائر عن قيام مؤامرة ضد الداي مصطفى[139].

وبالفعل فإنه ما أن وصل الداي مصطفى إلى الجزائر حتى أعتقل وقتل في مدينة القليعة، يوم 03 نوفمبر 1705م، لأن الديوان كان قد انتخب أثناء غيابه حسن خوجة دايا بدلا عنه[140].

– عهد الداي حسن خوجة (1705م – 1707م):

تميز عهده باستمرار الحصار الذي ضربه باي الغرب مصطفى بوشلاغم على وهران ابتداءً من عام 1705م، وتردي الوضع الداخلي في بايلك الشرق نتيجة الثورات والحروب التي عرفها في السنوات الخمس الأولى من القرن الثامن عشر مما جعله لا يقدم الضرائب الكبيرة التي كان يقدمها من قبل[141]. وتميزت العلاقات الخارجية للجزائرية في عهد هذا الاخير بالسلم، مع كل من تونس[142]، والمغرب الأقصى لحاجة السلطان إسماعيل إليه بعد تمرد بعض أبنائه عليه في الجنوب المغربي[143]، وكذلك كان الحال مع فرنسا، وانجلترا، أما العلاقات مع باقي الدول الأوروبية فكان يشوبها العداء، وخاصة مع اسبانيا.

ورغم ذلك فإنه لم يوفق في الخروج من الضائقة المالية التي لازمت عهده، ووجد نفسه في النهاية عاجزا عن دفع رواتب الجند، الامر الذي سهل على محمد بكداش[144] ورفاقه مهمة الإطاحة به في 04 مارس عام 1707م ونفيه من مدينة الجزائر[145].

– عهد الداي محمد بكداش (1707م – 1710م):

تميز عهده باستمرار حالة السلم مع كل من تونس والمغرب، وتركيز جهوده على تحرير وهران، والمرسى الكبير، بتدعيم الحصار الذي كان مفروض على المدينة منذ عام 1705م بالمدد الذي أرسله إلى باي الغرب مصطفى بوشلاغم عام 1707م بقيادة صهره ووزيره حسن أوزان، مما زاد في فعالية الجيش الجزائري، الذي دك حصون المدينة الواحد بعد الأخر حتى تحريرها في 20 جانفي 1708م، وبعدها توجه إلى مدينة المرسى الكبير التي أتم تحريرها هي الاخرى في شهر أفريل من نفس العام[146].

ورغم ذلك الانجاز الكبير إلا أنه لم يشفع للداي محمد بكداش، حيث ثار عليه الجند في 22 مارس 1710م، وتمكن دالي إبراهيم من قتله، بسبب تأخره في دفع رواتبهم نتيجة فرار باي قسنطينة حسين شاويش بضرائب البايلك (الدنوش) إلى تونس[147]، وعجز الداي والخزينة الجزائرية عن أداء

مستحقات الجند، بسبب تدني مداخيل الدولة خاصة من عوائد الغزو البحري، وكثرة مصاريفها في تجهيز الحملات العسكرية، وقتل صهره أوزون حسن الذي هب لنجدته[148].

– عهد الداي دالي إبراهيم (1710م – 1710م)

تميز عهده بالقصر، حيث بدأ في نهاية شهر مارس وانتهى منتصف شهر أوت من نفس السنة، وكثرت فيه مؤامرات الجند عليه، فلم يتسن له تحقيق أي إنجاز هام سواءً على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الخارجي، وفي 14 اوت 1710 أخفق في تهدئة الجند، اللذين ثاروا عليه وذلك بسبب سيرته الفاسدة، وحاصروه، وتمكنوا أخيرا من قتله وبايعوا علي شاوش خلفا له[149].

– عهد الداي علي شاوش: (1710م – 1718م)

حكم البلاد لمدة طويلة نسبيا مقارنة بمن سبقه من الدايات، وعم في عهده الأمن والاستقرار، حيث عمل على إعادة الهدوء والاستقرار في مدينة الجزائر بإتباع أسلوب الشدة، والصرامة اتجاه الفوضويين، والمشاغبين واللصوص اللذين كانوا يشكلون خطرا على أمن البلاد، وملاحقتهم وقتل نحو 1700 شخص منهم، فاستراحت بذلك المدينة من جرائمهم، وتمكن أيضا من إعادة الهدوء والاستقرار في بايلك قسنطينة الذي اضطرب، وذلك بواسطة الباي الجديد حسين بوكميه، كما أقدم على منع الباشا الجديد (ابراهيم شركان)، الذي عينه السلطان العثماني على الجزائر من النزول إلى المدينة عام 1711م وطرده، بسبب تآمر سابقيه على الدايات في الجزائر، وبعث إلى السلطان يسترضيه ويوضح له الأمر، فقبل منه ذلك وأرسل له بالتعيين في الباشوية، ومنذ ذلك التاريخ جمع حكام الجزائر بين المنصبين (الداي والباشا) [150]، وعلى اثرها سعت العديد من الدول الأوربية إلى طلب السلام مع الجزائر، واستمرت العلاقات الحسنة مع كل من تونس والمغرب، وبذلك دخلت الجزائر عهدا جديدا في تاريخها، ومرحلة من المراحل الحاسمة في مسيرتها، سوف يأتي الحديث عنها بأكثر تفصيل في المقال الموالي.

الخاتمة

خلاصة القول فإن هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، كانت نقلة نوعية في تنظيمها وسياستها، وفي مكانتها العسكرية، حيث عرفت فيها تطورات وأحداث هامة ومؤثرة، بحيث كان لها الأثر البارز في تطور المسار التاريخي للجزائر خاصة، وللمنطقة وكل حوض البحر المتوسط، وحتى أوروبا. غير انه نتج عن تطور الاحداث في تلك المرحلة عدة ظواهر ونتائج وانعكاسات، يمكن حصر بعضها فيما يلي:

– تلاشي الهيمنة المركزية العثمانية، بتغييب دور الباشا المعين من السلطان، الذي أصبح لا يكاد يذكر، كما أنه سجل بداية حمل هذا اللقب من طرف الدايات، كالداي حسين ميزومورتو عام 1686م، أو مطالبة الداي محمد بكداش به لصهره أوزون حسن، الذي ساهم بشكل فعال إلى جانب الباي بوشلاغم في تحرير وهران والمرسى الكبير عام 1708م، غير أنه لم يستجب له، فرفض استقبال الباشا المعين من طرف السلطان.

– استمرار عدم الاستقرار السياسي في البلاد، وكثرت المؤامرات على الحكام، حيث عرف جل حكام تلك الفترة مدة حكم قصيرة، وكان مصير أغلبهم القتل أو النفي، الامر الذي أثر على قوة البلاد وهيبتها، في الوقت الذي عرفت الدول المنافسة لها آنذاك استقرار لحكامها وتمتعهم بمدة حكم طويلة، على غرار الملك الفرنسي لويس الرابع عشر الذي حكم 72 سنة (1643م–1715م)، 18 سنة منها تحت الوصاية، والباقي تحت حكمه المطلق ابتداءً من عام 1661م، وكذلك السلطان إسماعيل بالمغربي الذي حكم 55 سنة (1672م–1727م)، وملوك اسبانيا كارلوس الثاني (1665م–1700م)، وفيليب الخامس (1700م–1724م).

– تدهور العلاقات بين الجزائر وفرنسا بشكل كبير في تلك الفترة، وميلها نحو تنامي أوجه الصراع بين الدولتين، لاسيما بعد إعلان الحرب من طرف الجزائر على فرنسا في 18 أكتوبر عام 1681م، وتعرض البلاد فيها إلى عدة حملات عسكرية بحرية فرنسية، أضرت كثيرا بمدينة الجزائر وسكانها، والتي منها حملات (حملتي دوكين 1682م، 1683م، وحملة دوستري 1688م)، وما ترتب عنها من ردود أفعال جزائرية وقفت بها الند للند مع فرنسا، التي سعت في أخر المطاف إلى طلب التفاهم وعقد عدة اتفاقيات ومعاهدات مع الجزائر، كان من أهمها معاهدة تورفيل 1684م.

– تنامي دور القوى المحلية في الدفاع عن البلاد، وقد تجلى ذلك بوضوح في التفاف أبناء القبائل الجزائرية من كل المناطق بالداي مصطفى عام 1700م، ومشاركتهم بفعالية في الدفاع عن أراضي وطنهم، وفي نصرة دايهم، حيث مكنته من هزيمة الجيش المغربي في يوم واحد بمنطقة الجديوية غرب سهل الشلف، في معركة عنيفة وخاطفة كاد السلطان المغربي إسماعيل أن يقتل فيها لولا فراره منها رفقة من انسحب من جنده.

– استقرار العلاقات الجزائرية الانجليزية نسبيا في تلك الفترة، وذلك لضرورة المصلحة والظروف. وكذلك هو الحال مع هولندا، وذلك نتيجة حاجة تلك الدول للسلم مع الجزائر والتفرغ للوقوف في وجه تحرشات واستفزازات ملك فرنسا ومشاريعه التوسعية.

– استمرار علاقة العداء مع الاسبان بحكم تواصل احتلالهم لمدينة وهران والمرسى الكبير، والعمل على افشال حملاتهم في بيلك الغرب، مع العمل بجد واستمرار لمحاصرتهم وتضييق الخناق عليهم، والذي انتهى بتحقيق التحرير الاول للمدينتين من ذلك الاحتلال عام 1708م.

– احتدام الصراع مع كل من تونس والمغرب الاقصى، فالأولى تطور معها الوضع بشكل خطير بعد تدخل دايات الجزائر في صراعات بايالتها على الحكم، بحيث شنت عدة حملات جزائرية على تونس كانت اغلبها ناجحة، ماعد حملة الدّاي مصطفى عطشي عام 1705م التي انتهت بالفشل، كذلك عرفت هذه الفترة تجرأ بايات تونس على غزو الأراضي الجزائرية، كحملة الباي مراد الثالث على قسنطينة عام 1700م مستغلا انشغال الجيش الجزائري بتصديه للجيش المغربي الذي اعتدى على بيلك الغرب، غير أنه هزم شر هزيمة من طرف الدّاي مصطفى عطشي في نفس السنة بعد تفرغه من هزيمة الجيش المغربي، الذي عرفت تلك الفترة أيضا تعدد اغاراته على بيلك الغرب، انتهى اغلبها بهزيمته شر هزيمة وكاد سلطانها يقتل فيها لعدة مرات، فينسحب مخذولا مدحورا.

– بروز معطيات جديدة في مسرح الاحداث سواء مع الدول الاوروبية، أو بين الجزائر ودول بلاد المغرب (تونس، المغرب الأقصى، ليبيا)، وذلك بسبب النزاعات الحدودية، أو تداخل المصالح والأحلاف، سواءً بين تلك الدول بعضها مع أو على بعض، كالتحالف التونسي المغربي ضد الجزائر، أو التحالف الجزائري الليبي ضد تونس، أو التحالف التونسي الليبي ضد الجزائر. أو عن طريق التواطؤ والتعاون مع الدول الأوروبية على حساب الجيران، كالتعاون التونسي الفرنسي على حساب الجزائر، أو محاولة التعاون والتحالف المغربي الفرنسي ضد الجزائر.

– تعرض البلاد إلى انتشار عدة أوبئة بها، حيث كانت عواقبها وخيمة على الجزائر، التي كانت تعيش مرحلة جد حساسة في مسيرتها التاريخية، وذلك مع تنامي القوى الأوروبية المنافسة، والتي كثيرا ما كانت تستغل ذلك في تحرشاتها على الجزائر.

---

[1] - H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), ernest leroux, editeur, Paris,1887, P 219 - 220.

[2] - علي آغا: هو رابع آغا تولى حكم الجزائر في عهد الاغاوات، وذلك بعد ان استلم مقاليد الحكم بها في مطلع عام 1664م بعد مقتل شعبان آغا، وكان رجلا يتمتع بعدة خصال حميدة وقد سبق له أن حج إلى بيت الله، ينتمي إلى فئة معزول آغا، واسندت له مقاليد الحكم بلا منازع وهو اول من حمل لقب الحاكم، حيث تميز بالحزم والعزم ونفاذ أوامره، لذلك فقد قام بعدة اصلاحات إدارية هامة على المستوى المركزي، وعلى مستوى الديوان الخاص بما يخدم

استقرار الأوضاع، ويرفع من مستوى أداء تلك المؤسسات، استمر في الحكم إلى غاية مقتله في 18 أكتوبر 1671م. أنظر:

- Pierre Boyer: "Introduction à une Histoire intérieure de la Régence d'Alger", Revue Historique, T. 235, Fasc. 2 (1966), p307.

[3] - Pierre Boyer: La Révolution dite des "Aghas" dans la régence d'Alger (1659-1671), article Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, année 1973, volume1, p 168.

[4] - إسماعيل باشا: هو أول باشا عينه السلطان العثماني على الجزائر في عهد الاغاوات، وذلك بعد غضبه عليهم بعد استلائهم على مقاليد الحكم بالجزائر عام 1659م، وكان وصول ذلك الباشا إلى الجزائر يوم 06 ماي 1662م، فاستقبل بحفاوة غير أنه غير أنه بقي بدون أي صلاحيات أو نفوذ، إذ كانت السلطة الفعلية من اختصاص أغا الإنكشارية المنتخب والديوان. أنظر:

- عزيز سامح التير: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، ترجمة محمود علي عامر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1989، ص 388 وما يليها.

[5] - الداي حجي محمد الطريقي، أو القبطان حسين التريكي، يعد أول داي حكم الجزائر، كان من رياس البحر، انتخب من طرف الديوان دايا للجزائر من عام 1671م إلى غاية 1682م. كان رجلا كبير السن، فترك الكثير من الامور إلى صهره بابا حسن ليديرها، عرفت في عهد العلاقات مع فرنسا تدهورا كبيرا، وتأرجحت مع الدول الاوروبية الاخرى، ترك مقاليد الحكم لصهره عام 1682م، ولجأ إلى طرابلس. أنظر:

- عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 415 وما يليها.

[6] - الداي معناه الخال، والزعيم والقائد لمئة نفر، ثم أصبح منصباً حكومياً سامياً رئيساً لدولة تونس منذ سنة 1591م. أنظر:

- ابن ابي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، الطبعة الأولى، تونس، 1869م، ص200 - 201.

[7] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات 1082– 1246ه/ 1671 – 1830م، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، دمشق، 1995-1996، ص40.

[8] - Pierre Boyer: La Révolution dite des "Aghas" Op.cit, p 168 - 169.

[9] - H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger…, Op cit, P207.

[10] - عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 389.

[11] - H.-D.de Grammont : Relations entre La France et La Régence D'Alger Au XVIIe Siècle, Quatrième Partie, Les Consuls Lazaristes Et Le Chevalier D'Arvieux (1646-1690), Adolphe Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1885, p p 49 -51.

- G . Fisher, Légende barbaresque : Guerre, commerce et piraterie en Afrique du Nord de 1415 à 1830, Trad. et annoté par Farida Hellal, O.P.U, Alger, 1991, p 320-321.

[12] - Krieken, Gérard van: Corsaires & marchands. Les relations entre Alger et les Pays-Bas, 1604-1830, Éditions Bouchene, 2002, pp 66-67.

[13] - أمين محرز: الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008، نقلا عن:

– Gazette de France (édition de Lyon) Imprimés numérisés, 1665, P 895.

[14]- Turbet-Delof, G : La Presse périodique française et l'Afrique barbaresque au XVIIe siècle (1611- 1715), Librairie Droz, Genève, 1973, p125.

[15] - عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 397.

[16] - الرشيد بن علي الشريف (1631م 1672م) يعتبر المؤسس الفعلي للدولة العلوية، تولى الحكم من عام 1664م، بعد مقتل أخيه السلطان محمد، واستمر حكمه إلى عام 1672م، اتخذ مدينة الرباط قاعدة لملكه ولتوحيد المغرب، وتوفي في عز شبابه أنظر: .عام 1672م في مراكش، والتي دفن بها، ثم نقل جثمانه إلى ضريح سيدي علي بن حرازم بفاس، حسب وصيته

- ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ من بداية المرنيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، ثلاثة أجزاء، الجزء الثالث، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2000، ص 24 - 31.

[17] - محمد بن علي الشريف (المتوفى عام 1664م) يعتبر المؤسس العملي للدولة العلوية، تولى الحكم من عام 1640م بعد قيامها في سجلماسة (تافيلالت حاليا)، لما توفي والده المولى الشريف سنة 1658م جددت البيعة للمولى محمد، فقرر أخيه المولى الرشيد الخروج عليه، وانتهى الصراع بينهما بمقتل محمد عام 1664م. الذي اسف المولى الرشيد اسفا عظيما لمقتله، وهو الذي تولى تجهيزه ودفنه. أنظر:

- نفسه: ص 20 - 23.

[18] - إبراهيم حركات: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص 28.

[19] - Cour Auguste: l'établissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la régence d'Alger, 1509-1830, Ernest Leroux, Paris, 1904, pp 195-196.

[20] - الداي حسين ميزو مورتو، يعد ثالث داي، كان من رياس البحر، وصل إلى الحكم بعد مقتل الداي بابا حسن، الذي رضخ إلى شروط الفرنسيين في حملتهم عام 1683م، فكان ميزو مورتو أكثر حزما وأفشل تلك الحملة، وعقد مع الفرنسيين اتفاقية مئوية للسلام عام 1684م، نقضتها فرنسا وشنت حملة الماريشال دوستري على مدينة الجزائر سنة 1688م، ففشلت وجنحت إلى السلم، غير أن الديوان رفض، اضطر الداي ميزو مورتو إلى الاستقالة، وعين بعدها قائدا عاما على الاسطول العثماني، وتوفي سنة 1700م. أنظر:

- عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 424 وما يليها.

[21] - الداي علي شاوش (1710م – 1718م)، يعد من أشهر دايات الجزائر، عم في عهده الأمن والاستقرار، منع الباشا الجديد (ابراهيم شركان)، الذي عينه السلطان العثماني من النزول إلى مدينة الجزائر عام 1711م وطرده، بسبب تأمر سابقيه على الدايات في الجزائر، وبعث إلى السلطان يسترضيه ويوضح له الأمر، فقبل منه ذلك وأرسل له بالتعيين في الباشوية، ومنذ ذلك التاريخ جمع حكام الجزائر بين المنصبين (الداي والباشا)، توفي مريضا عام 1718م. أنظر: - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 174.

[22] - عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 463 وما يليها.

[23] - حسين ابن المفتي بن رجب شاوش: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، دراسة وتحقيق فارس كعوان، الطبعة الأولى، الجزائر 2009، ص 67.

[24] - صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514 - 1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 139.

[25] - نفسه: ص 139.

[26] – Le chevalier D'Arvieux: Mémoires du chevalier D'Arvieux, 5 Tome, Paris 1735, T5, pp104 -105.

- غطاس عائشة: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1616-1694)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1984، ص82 .

[27] – Le Chevalier D'Arvieux: Op cit -105.

[28] – Ibid : p126.

[29] - عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 83 - 84.

[30] - H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger…, Op cit, p 259.

[31] - Ibid : p 260.

[32] جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1987، ص 113 - 114. وأنظر أيضا

- H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger…, Op cit, p 260.

[33] - H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger…, Op cit, p 247.

[34] - Eugène Plantet, Correspondance des deys d'Alger avec la cour de France, 1579-1833, Recueillie Dans les dépôts d'archives des affaires étrangères, De la marine, des colonies Et de la chambre de commerce de Marseille, Tome premier (1579-1700), PARIS, 1889, pp80 – 84.

[35] – H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger Op cit, pp 219 - 221.

[36] – Ibid, p 245.

- Ernest Mercier: l'Afrique Septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu' à la Conquête Française (1830), Ernest Leroux Editeur, Tome Troisième, Paris, France, 1868, p 286.

[37] – H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger Op cit, p 247.

[38] - يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830م، الجزائر، 1985، ص 84.

انظر أيضا:

- Ernest Mercier : Op cit, Op cit, p 286, 287.

[39] – H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger Op cit, p 245.

[40] – Ibid, p 245.

[41] – Ernest Mercier: Op cit, p303.

[42] - إسماعيل الشريف (1645م-1727م)، أحد سلاطين المغرب من السلالة العلوية، دام حكمه من عام 1672م، نقل عاصمة من مدينة مراكش إلى مكناس، أسس جيشًا من العبيد، عرف بجيش عبيد البخاري، حاول التحالف مع الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، غير أنه رفض واكتفى بعقد بعض المعاهدات التجارية معه، ولقد رفض مصاهرته بماري آن دو بوربون، كما عقد اتفاقية مع انجلترا واسترجع منها مدينة طنجة عام 1684م، التي كانت قد احتلتها عام 1661م، أما علاقته مع الجزائر فقد تميزت في أغلب الاحيان بالعدوانية، ومحاولة التوسع على اراضيها، وذلك بالتخابر والتنسيق في الكثير من المرات مع حكام تونس. أنظر:

- ابراهيم حركات: المرجع السابق، ص 32 وما يليها.

[43] - محمد ابي راس العسكري: عجائب الأسفار ولطائف الاخبار، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس، رقم 262، الورقة 97.

[44] - عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 437 - 438.

[45] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس...، المرجع السابق، ص46.

[46] مراد الثاني أو مراد باي الثاني، ثالث البايات المراديين بتونس، تولى الحكم من عام 1666م إلى وفاته عام 1675م، وهو ابن حمودة باشا. توفي عام 1675م، وترك إثر وفاته ثلاثة أبناء، هم محمد باي الثاني، وعلي باي الأول، ورمضان باي، تخاصموا على الحكم (خاصة منهما الأوّلان)، وشاركهم في ذلك عمهم محمد باشا الحفصي. وأسفرت هذه الخصومات على فترة طويلة من الحرب الاهلية. من بين الإنجازات التي قام بها مراد الثاني المدرسة المرادية، وجامع قابس بمدينة قابس، وجامع مراد باي الحنفي بمدينة باجة. أنظر: عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في ...المرجع السابق، ص ص 51 - 59. وأيضا: - محمد ابن الخوجة: صفحات من تونس، دار الغرب الإسلامي، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي، والجيلاني بن الحاج يحي، الطبعة الأولى، 1986، ص ص 48 – 56.

[47] - الوزير السراج محمد بن محمد الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيله، الدار التونسية للنشر، أربعة أجزاء، الجزء الثاني، القسم الاول، تونس، 1970، ص ص 274 – 276.

[48] - Eugène Plantet : Op.cit , p 69.

[49] - ابن ابي دينار القيرواني: المصدر السابق، 264.

[50] - نفسه: ص ص 273- 286.

[51] - نفسه: ص 273.

[52] – H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger Op cit, p 245.

[53] – Ibid, p p 225 - 245.

[54] - مبارك بن محمد الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، ثلاثة أجزاء، الجزء الثالث، الجزائر، 1964، ص187.

[55] - H.-D.De Grammont : Relations entre La France... Op.cit : p 261.

[56] - جمال قنان: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص 85. وأنظر أيضا

-H.-D.De Grammont : Relations entre La France... Op.cit : p 263.

[57] – H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger Op cit, p 251.

[58] - عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 440.

[59] – H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger Op cit, p 251.

[60] - H.-D.De Grammont : Relations entre La France...Op.cit: pp 266-267.

[61] - جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987، ص98.

- يحيى بوعزيز: العلاقات الجزائرية الخارجية مع دول وممالیك أوروبا 1500- 1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص88.

- جيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة السابعة، الجزء الثالث، الجزائر، 1994، ص191.

[62] - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص84.

[63] - جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا، المرجع السابق، ص ص 339 - 345.

[64] - معاهدة اقتصادية تم من خلالها السماح لمدير الباستيون الجديد ديسو، بإصلاح مبانيه وعادتها إلى الحالة التي كانت عليها سابقا، والسماح له أيضا بشحن مركبتين من الحبوب في كل سنة قصد إرسالها إلى فرنسا بغرض إعالة عائلات المستخدمين في الباستيون، وبالمقابل تعهد ديسو بعدم إدخال أي شخص جديد في شركته بدون موافقة

الديوان، واعتماده للشخص أو للأشخاص المقترحين. أنظر أكثر: جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا1618-1830، المرجع السابق، ص ص 114 - 119.

[65] - برج تامنفوست: تامنفوست كلمة بربرية تعني "الجهة اليمنى"، يقع على بعد 27 كلم من مدينة الجزائر عند الحدود الشرقية لخليج المدينة، بني البرج على قاعدة ثمانية الأضلاع يبلغ قطرها 28مترا، ويذكر كلاين أنّ البرج قد أسس سنة 1661م من طرف رمضان آغا، ويذكر بوتان أن البرج قد شيّد سنة 1685م. أنظر:

- Boutin (y.v.), Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger, publier par Escher,G, et, H. Champion, Paris,1927, p 40.

- Klein (H.), Feuillets d'El-Djazair, collection du cahiers du vieil d'Alger, Alger, 1937, p37.

[66] - قائد بحري فرنسي شارك في عدة عمليات بحرية في البحر المتوسط، خاصة ضد جنوة عام 1686م، ظهر أسطوله في السواحل الجزائرية شهر جوان من نفس العام، كما شارك في محاربة الجزائر وبحريتها. أنظر:

- Henri Garrot: Histoire Générale De L'Algérie, Imprimerie P. Crescenzo, Voutes Bastion Nord, Alger, 1910, pp 521 -524.

[67] - Henri Garrot: Op.cit: p 523.

[68] ، ماريشال فرنسي، وقائد كبير في البحرية Jean d'Estrées, comte d'Estrées جان دوستري الكونت دوستري، الفرنسية، ولد عام 1624م في سولور بسويسرا، ابن عسكري فرنسي من النبلاء، انخرط صغيرا في الجيش الفرنسي البري وتدرج في الرتب، ولكن في عام 1668م يتحول إلى البحرية الفرنسية، أين ارتقى في الرتب ماريشال عام 1681م، قام بين عامي 1685م و1688م بعدة حملات في البحر المتوسط ضد كل من طرابلس والجزائر، أشهرها قنبلته لمدينة الجزائر في صيف 1688م، توفي في باريس عام 1707م. أنظر:

- Henri Garrot: Op.cit : pp 513 - 528.

[69] - يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص 88.

[70] - نفسه: ص 88-89.

[71] - Henri Garrot: Op.cit : p 524.

[72] - يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية، المرجع السابق، ص 88. أنظر أيضا:

- Henri Garrot: Op.cit : p 524 - 525.

[73] - جمال قنان: علاقات الجزائر الخارجية ...المرجع السابق، ص88 - 89. أنظر أيضا:

- Ibid : p 524 - 525.

[74] - H.-D.De Grammont : Relations entre La France... Op.cit : p 315.

[75] - محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، وزارة الثقافة الجزائرية، تحقيق وتقديم الدكتور محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 2007، ص21.

[76] - Henri Garrot: Op.cit : p 527.

[77] - H.-D.De Grammont : Relations entre La France... Op.cit : p 317.

- Henri Garrot: Op.cit : p 528.

[78] - H.-D.De Grammont : Relations entre La France... Op.cit : p 317.

[79] - جمال قنان: علاقات الجزائر الخارجية ...المرجع السابق، ص 89.

[80] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في ...المرجع السابق، ص 44.

[81] - Ernest Mercier: Op cit, p303.

- M. Walsin Esterhazy : De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Librairie de Charles Gosselin, Paris, 1840, p 169.

[82] - أبي راس محمد بن أحمد الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غانم، الجزء الأول، منشورات المركز الوطني البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر،2005، ص 144 - 148.

[83] - عبد القادر بن عبد الله المشرفي الغريسي: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، مخطوط مقتبس من المجلة الإفريقية (وهو مطبوع في طبعة جديدة)، عدة صفحات.

[84] – Ernest Mercier: Op cit, p 304-305.

[85] - محمد باي المرادي، توفي في 14 أكتوبر 1696م، خامس بايات تونس منذ تفرده بالحكم عام 1686م إلى تاريخ وفاته، وهو الابن الأكبر لمراد باي الثاني، وحفيد يوسف داي من أمه، لم يصل إلى الحكم إلا بعد كفاح طويل ضد أخيه علي باي المرادي، وفي أحيان أخرى ضد عمه محمد الحفصي المرادي، والداي محمد تتار، الذي وضع من قبل داي الجزائر الحاج شعبان، بعد الهجوم على تونس من قبل الجيش الجزائري في عام 1694م، واستطاع إنشاء عدة مبانٍ وآثار حضارية. بعد موته ترك ولدين لا يستطيعان الحكم لصغر سنهما، مراد وحسن، لذلك تولى الحكم بعده أخوه رمضان باي المرادي. أنظر:

- عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في ...المرجع السابق، ص ص 59 - 96.

[86] - ابن أبي الضياف أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، المطبعة الرسمية، الجزء الثاني، تونس، 1963م، ص 72 - 73.

[87] - ابن عبد العزيز حمودة بن محمد: الكتاب الباشي، تحقيق الشيخ محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، الجزء الثاني، تونس، 1970، ص ص 393 - 399.

[88] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 93-94.

[89] - عبد الكريم شوقي: الاستخبارات الجزائرية في العصر الحديث 897ه-1246ه / 1492م-1830م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2017، ص243.

[90] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في ...المرجع السابق، ص 74.

[91] - هلايلي حنيفي: بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، الطبعة الأولى، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص95.

[92] - جون ب.وولف: الجزائر وأوربا 1500 - 1830، ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الرائد – عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص158.

[93] – H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger Op cit, p 256.

[94] - مولاي بالحميسي: ارشاد الحيران في أمر الداي شعبان، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد الأول، العدد الثاني، من الصفحة 39 إلى الصفحة 59، جامعة الجزائر، الجزائر في 1 جوان 1996. ص 40.

[95] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 77 - 78.

[96] - عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 433.

[97] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 78.

[98] - ابن غلبون الطرابلسي: التذكار فمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار، تصحيح وتعليق الطاهر احمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، بنغازي، ليبيا، 2004، ص 233 - 234.

[99] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 45.

[100] - Henri Garrot: Op.cit : p 541.

[101] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 81.

[102] - Henri Garrot: Op.cit : p 541.

[103] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص ص85 - 95.

[104] – Eugène Plantet : Op.cit , p 455.

[105] - عبد الكريم شوقي: المرجع السابق، ص247.

[106] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في ...المرجع السابق، ص 83 - 84.

[107] - هو داي الجزائر من عام 1689م إلى 1695م، استطاع في وقت قصير هزيمة باي تونس محمد باي، ودخول العاصمة تونس رغم المساعدة الفرنسية والتحالف التونسي المغربي آنذاك، كما استطاع هزيمة الجيش المغربي وسلطانه اسماعيل. أنظر:

- عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 59 - 96. وأيضا:

- عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 415 وما يليها.

[108] - عبد الكريم شوقي: المرجع السابق، ص 240 - 241.

[109] - Henri Garrot: Op.cit : p 542 – 543.

[110] - عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 96 - 97.

[111] - Eugène Plantet : Op.cit , p 451.

[112] – H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger Op cit, p 266.

[113] – Ibid : p 266.

[114] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 126 - 127.

[115] – H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger Op cit, p 266.

[116] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 111.

[117] – H.-D.de Grammont : Histoire d'Alger Op cit, p 266 – 267.

[118] – Ernest Mercier: Op cit, p 319.

[119] - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص94.

[120] - أبي القاسم أحمد الزياني: الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد الشّرِيفِ بنِ عليٍّ، وهو مَنقُولٌ عن كتاب (التّرجُمان المُعْرِبُ عن دُوَلِ المَشرِقِ والمَغرِب)، المطبعة الجمهورية، باريس، 1886، ص 24 - 25.

[121] مراد باي الثالث (1680م – 1702م) آخر البايات المراديين بتونس، تولى الحكم من عام 1699م إلى تاريخ وفاته عام 1702م، قضى على إخوته للوصول إلى السلطة. بعد وفاة والده علي باي الثاني تبناه عمه محمد باي الثاني، ثم تبناه عمه الآخر رمضان باي، الذي شك في أنه يخطط للإطاحة به، فوضعه في السجن ثم أمر بفأق عينيه، غير أنه تمكن من الفرار وقيادة مجموعة من المتمردين، الذين قادهم للحصول على القيروان ثم تونس بعد قتل عمه، لقبه التونسيون، بسبب القسوة الكبيرة ومبالغته في الانتقام، بلقب مراد بُو بَالَة، وبَالَة هو السيف التركي العريض. قتله إبراهيم الشريف عام 1702م، بأمر من السلطان العثماني، وبذلك انتهى عهد الدولة المرادية، لتقوم إثر ذلك الدولة الحسينية بعد 3 سنوات من حكم إبراهيم الشريف. أنظر: - محمد ابن الخوجة: المصدر السابق، ص 48 – 56.

[122] – Eugène Plantet: Correspondance Des Beys De Tunis et Des Consuls de France avec la Cour 1577 – 1830, Tome Premier (1577-1700), Ancienne Librairie Germer Baillière et c'e Félix Alcan, Editeur, Paris, 1893, p 611.

[123] – Ernest Mercier: Op cit, p 319.

[124] - ابن عبد العزيز حمودة بن محمد: المصدر السابق، ص 306.

[125] - Mouillarad (L): l'établissement des turcs en Afrique. et en Tunisie /in/ R.T.T2, Tunis, 1895, P 569.

[126] - ابن عبد العزيز حمودة بن محمد: المصدر السابق، ص 308.

[127] - أبي القاسم أحمد الزياني: المصدر السابق، ص 26.

- عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 112.

[128] – Henri-Léon FEY: Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnol, Typographie Adolphe Perrier, Editeur, Oran, 1858, p 115 - 116.

[129] - مصطفى بن يوسف المدعو بوشلاغم، باي بايلك الغرب (1686م – 1733م)، ضمن إيالة الجزائر في العهد العثماني، خلف الباي شعبان الزناقي بعد استشهاده عام 1686م، عند أسوار مدينة وهران بينما كان محاصرا لها، لذلك صمم الباي مصطفى بوشلاغم منذ توليه قيادة البايلك على تحريرها، وقام كإجراء أولي بنقل عاصمة البايلك من مازونة إلى معسكر، بهدف تقريبها من وهران كي يسهل عليه مراقبتها ومحاصرتها في الوقت المناسب، ثم استرجع وهران والمرسى الكبير في عام 1708م، ونقل عاصمة البايلك إليها حتى سقوطها من جديد في يد الاسبان عام 1732م، فنقل عاصمته إلى مستغانم التي مات فيها عام 1733م. أنظر:

- عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 442 - 443.

[130] - نفسه: ص 458.

[131] - العلمة مدينة تابعة لولاية سطيف اليوم، وتبعد عن مدينة سطيف بحوالي 28 كلم شرقا، كانت قديما تلقب بـ "سانت آرنو" وبعد الاستقلال أصبحت تعرف بالعلمة. يوجد بمنطقتها أقدم اثار للإنسان في الشمال الأفريقي، وبالضبط بالمكان المسمى: "عين لحنش" (1,8 مليون سنة إلى 2.3 مليون سنة قبل الميلاد). ويسجل وقوع معركة بتاريخ 03 أكتوبر 1700 دارت بين الجيش الجزائري والجيش التونسي الذي انهزم فيها هزيمة نكراء، وفي يوم 26 افريل 1862م أي خلال الاستعمار الفرنسي وبعد . أو القديس ارنو saint arnaud"للجزائر تم امضاء مرسوم إنشاء المدينة تحت اسم السفاح الفرنسي "سانت ارنو استرجاع الجزائر لسيادتها الوطنية بتاريخ 05 جويلية 1962م أصبحت المدينة تسمى العلمة. أنظر:

- Féraud Laurent-Charles : Histoire des villes de la province de Constantine. Sétif, Bordj-Bou-Areridj, Msila, Boussaâda, Typographie et lithographie L. Arnolet, Constantine, 1872.

[132] - Paul Lucas : Voyage du sieur1 Paul Lucas, fait par ordre du roi. Dans la Grèce, l'Asie mineure, la Macédoine et l'Afrique. Tome second. Contenant la Description de Jérusalem, de l'Egypte, et du Fioume: avec un Mémoire peur fervir à l'Histoire de Tunis, depuis l'année 1684. A Âmsterdam, Aux dépens de la Compagnie, M. DCC.XIV, p 220 - 221.

[133] - عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 442 - 443.

[134] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 112 - 113.

[135] – Paul Lucas : Op cit, p 238 - 239.

[136] - إبراهيم الشريف باي تونس (1702م – 1705م)، كان أمير جند البايات المراديين وأغا الصبايحية، قتل مراد باي الثالث عام 1702م بناءً على أمر من السلطان العثماني، كما قضى على كافة أبناء وأحفاد الاسرة المرادية منهيًا بذلك فترة حكمها. أعلنه جند الصبايحية بايًا، ثم عُيّن باشا من قبل السلطان العثماني، ثم صار دايًا، وشغل بذلك كافة المناصب على رأس الإيالة التونسية، وبعد هجوم الجزائريين على تونس عام 1705م، عُزل وأُسِر، الامر الذي مكن الحسينيين من الوصول إلى الحكم في تونس. أنظر:

- محمد بن خوجة: المرجع السابق، ص 48 – 56.

[137] – Paul Lucas : Op cit, p 254 – 255.

[138] - حسين بن علي باي تونس من 12 جويلية 1705م إلى 8 سبتمبر 1735م، بعد إلقاء القبض على إبراهيم الشريف من طرف الجزائريين، وهو مؤسس الدولة الحسينية، من أصل عثماني، تمتعت تونس في عهده بقدر من الاستقلال، واستمرار أعمال الغزو البحري في عهده، استمر حكمه مستقرًا إلى غاية 1728م حيث قامت حرب بينه وبين ابن اخيه علي باشا بعد أن أُزيح هذا الأخير من ولاية العهد ونصب عوضا عنه محمد بن حسين بن علي. انتهت بانتصار علي باشا عام 1735م بمساعدة من الجزائر، وموت عمه الحسين ذبحا في 13 ماي 1740م. أنظر: محمد بن خوجة: المرجع السابق، ص 48 – 56.

[139] – Paul Lucas : Op cit, p 296.

[140] – H.-D.De Grammont : Histoire D'Alger… OP. CIT, P 272.

[141] – Ernest Mercier: Op cit, p 332.

[142] - عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 170.

[143] – Ernest Mercier: Op cit, p 330 – 331.

[144] - محمد باكداش: أو باكطاش أو باكتاش كلمة تركية ومعناها الحجر الصلب، أطلقه عليه والده، قدم الجزائر واستقر في البداية بمدينة عنابة (بونة)، ولزم الشيخ قاسم بن الساسي البوني وهو من سماه محمد، أصبح دايا على الجزائر (1707م – 1710م)، بعد قيامه بانقلاب على سابقه حسن خوجة، من أكبر إنجازاته التحرير الأول لوهران والمرسى الكبير سنة 1708م، مات مقتولا على يد الداي دالي إبراهيم. أنظر: محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم الدكتور محمد بن عبد الكريم، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007، ص 112.

[145] - نفسه: ص 139 - 140. ابن المفتي: المصدر السابق: ص207. عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 455.

[146] – Ernest Mercier: Op cit, p p 332 335.

- عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 171.

[147] – Ibid, p 335. - H.-D.De Grammont : Histoire D'Alger… OP. CIT, P 274.

- عمار بن خروف: علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات...، المرجع السابق، ص 171.

[148] - ابن المفتي: المصدر السابق: ص207. عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 462.

[149] – H.-D.De Grammont : Histoire D'Alger… OP. CIT, P 274 – 275.

- ابن المفتي: المصدر السابق: ص207. - عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 462.

[150] – H.-D.De Grammont : Histoire D'Alger… OP. CIT, P 276.

- عزيز سامح إلتير: المرجع السابق، ص 462 - 463.